

روائع الأدب العالمي للمناشئين

قلعة الخطر



ماري ستيوارت



قلعة الخطر

تأليف: ماري ستيوارت
تأليف: سيليا تيرني

ترجمة: صبرى الفضل
مراجعة: مختار السويدي



١٩٨٨



دَوَائِعُ الْأَدَبِ الْعَالِي لِلنَّاشِئِينَ

قَلْعَةُ الْخَطَرِ

المشرف على التحرير : مختار السويفى

الاخراج الفنى : انعام صالح

المؤلفة

مارى ستيورات هو اسم الشهرة لفلورنس رينبو ستيورات . وهى كاتبة انجليزية لقصص المغامرات الرومانسية ، ولدت فى ١٧ سبتمبر ١٩١٦ .

كتبت ١٤ رواية . . كلها لها شهرة عالمية . .

ومن بين أفضلها : أخى ميكائيل ١٩٦٠ ، شجرة اللبلاب ١٩٦٠ ، غزالو القمر ١٩٦٢ (مثلت فيلما ١٩٦٤) ، كلاب صيد جابريل ١٩٦٧ ، ثلاثية تشتمل على : كهف الكريستال ١٩٧٠ ، التلال الجوفاء ١٩٧٣ ، الافتتان الأخير ١٩٧٩ .

ـ المترجم ـ



الفصل الأول

وصلنا باريس وضوء النهار يخبو .. لم يكن
أحد في انتظارى بالمطار .

باريس ، يامسقط رأسى . لقد عدت ثانية بعد سبع
سنوات .. سبع سنوات .. انها أكثر من ثلث عمرى
.. وهانذا الآن ، فى صالة المطار الضخمة ، محاطة
بالفرنسيين وبالحديث باللغة الفرنسية ، فشعرت أننى
غريبة وكأننى فى أول زيارة لى لبلد غريب .

وبينما كان المسافرون الآخرون يتلقون الترحاب من
منتظريهم من أصدقاء وأقارب ، أخذت أبحث فى زحام
الوجوه الغريبة عن وجه اعرفه . ولكن كان هذا سخفا

.. فمن سيكون هناك لمقابلتي ؟ مدام دي فالى نفسها ؟
 لا ، بالطبع لا .. لقد أعطتني أجرة التاكسي في باريس ،
 ولم أتوقع منها أن تفعل أكثر من ذلك لأجل مربية
 جديدة . هذا هو ماكنته ، ومن الأفضل لى أن أتذكره .
 ذهبت لالتقاط حقيبتى التى كان مكتوباً عليها
 « الأنسة ليندا مارتن ، باريس » ، فارتطم رجل مسرع
 كان يمر بجانبى بذراعى ، فسقطت حقيبة يدي على
 الأرض .

قال باللغة الفرنسية :

— أوه مدموازيل ، أنا آسف جدا .. هل سببت لك
 أى أذى ؟

والتقط لى حقيبتى من الأرض وهو لا يزال يعتذر ،
 فأخبرته بعدم وجود أى أذى . فوجدت نفسى أتكلم اللغة
 الفرنسية ثانية بشكل طبيعى وكأننى لم أبتعد على
 الإطلاق . وعلى كل فغياب سبع سنوات لم يكن مدة
 طويلة لهذه الدرجة .

تابعت الرجل بنظرة محمقة وأنا أفر .. لابد أن
 أكون حريصة . هذا أمر آخر يجب أن أتذكره . فأننا
 انجليزية .. انجليزية .. لقد كانت مدام دي فالى
 واضحة تماماً عندما أعلنت عن حاجتها لفتاة انجليزية .

ولقد تركتها تعتقد أن معرفتي بفرنسا وباللغة الفرنسية مامى الا مثل اية فتاة انجليزية عادية قد تعلمت بعض اللغة الفرنسية في المدرسة . وكان يبدو أن هذا شيء هام بالنسبة لتفكيرها . فقد أرادت منى ، كما قالت ، أن أتحدث مع فيليب دائما باللغة الانجليزية حسن ، لا يمكن لأحد أن يقول بأننى قد خدعتها ، لأننى حقيقة كنت انجليزية ، فلقد كان أبى انجليزيا ، وأمى ربعا كان انجليزيا . . . لقد عشنا في باريس حتى بلغت الثالثة عشرة ، ولكن الآن تبدو تلك السنوات بعيدة وباهتة .

وكانت السنوات السبع الأخيرة في انجلترا أكثر واقعية بكثير . لقد قضيت خمس سنوات منها في ملجا للأيتام بشمال لندن ، والسنتين الأخيرتين في مدرسة للبنين ، حيث درست اللغة الفرنسية وقمت بأعمال أخرى متنوعة .

كنت لا أشعر تماما بأننى انتمى لانجلترا . وبعد مأساة وفاة والدى ، لم أرد أن أكون حياة جديدة لنفسى في بلد جديد . وكنت أقول لنفسى : في يوم ما سوف أعود الى فرنسا !

عثرت على تاكسى وأعطيت السائق اسم فندق مدام دى فالى . وأثناء المسير في شوارع باريس عبر

أمسية رمادية من شهر مارس ، استعدت ما كنت آلفه
من مناظر وأصوات وروائح ، وشعرت أنني في موطني
مرة أخرى . ولكن لا يجب أن أفكر في الماضي . ومن
الأفضل أن أفكر في الغد وفي قصر فاملي . لقد صورته
في ذهني مئات مرات .

قلعة الحلم الساحرة الجميلة ، الرومانتيكية ، غير
الواقعية . وكانت تقع في الجانب الآخر من فرنسا ،
بالقرب من بحيرة جنيف ، تخيلتها بين الجبال
والغابات ، مثل صورة في كتاب قصص الأطفال .

ابتسمت لحماقتي ، فالذي سأذهب إليه منزل حقيقي ،
وليس قلعة في حلم رومانتيكي . والى وظيفة حقيقية لا
تختلف كثيرا عما كنت أعمله من قبل : مربية أو معلمة
خاصة لفيليب ، كونت دي فاملي ، البالغ من العمر تسع
سنوات .

هأنذا سوف أصل الفندق ، وسوف تستقبلني مدام
دي فاملي . مدام دي فاملي التي كانت جالسة مشدودة
بلا حركة على كرسيها وتبدو جميلة في ملابسها الاليفة .
وبدأت أرتب من شعري وأنا أسترجع في ذهني ما أستطيع
تذكره عن مستخدمي الجدد .

عندما تحدثت مع مدام دى فالى فى لندن ، أخبرتنى ببعض البيانات عن الأسرة . لقد كان كونت دى فالى العجوز ، جد فيليب ، ثريا واسع الثراء ، وعند وفاته قسمت أملاكه بين أبنائه الثلاثة ، ايتين وليون وهيبوليت . وآل الجزء الرئيسى من الثروة لائتين ، وهو قصر فالى والمنزل الذى يقع فى باريس ، ولليون ، الذى كان زوجا لمدام دى فالى ، عزبة فى جنوب فرنسا ، تسمى بلفين ، ولهيبوليت ، منزل كبير على ضفاف بحيرة جنيف يبعد بضعة كيلومترات قليلة من عزبة فالى . وفى هذا الوقت كان ايتين غير متزوج ، وكان معتنا عندما عرض عليه أخوه ليون ، أن يبقى فى فالى ويدير العزبة له . وفضل ايتين أن يعيش فى باريس . وكان الأخ الأصغر ، هيبوليت ، عالم آثار ، فعندما لا يكون مسافرا فى الخارج فى عمله ، كان يعيش فى هدوء بمنزله فى ثونون .

ولقد مرت الأمور بهذا الشكل لبضعة أعوام . وبعدما تزوج ايتين ، فى سن متأخرة ، ثم أنجب فيليب بعد سنتين . ومكثت العائلة فى باريس حتى العام الماضى ، عندما بلغ فيليب التاسعة تقريبا . عندئذ ألت به مأساة ، تماما مثل التى ألت بى . لقد لقى والداه حتفهما فى حادث طائرة ، وهما فى طريق عودتهما من

عطلة بايطاليا . وبعد ذلك كان علي فيليب ان يغادر باريس ، ليعيش مع عمه هيبوليت في ثونون .

كان هيبوليت لايزال غير متزوج . وقالت مدام دي فالمر :

- لقد كان مفرما دائما بالطفل . وبالطبع فالمر هي بيت فيليب الحقيقي ، ولكن هيبوليت اصر على اخذه الى ثونون في فيلا ، انا ، ويبدو ان فيليب احب الإقامة هناك .

وباستماعي لهذا الصوت الهاديء البارد ، اعتقدت ان هيبوليت ربما كان علي صواب . فهيلواز دي فالمر لم تبدو رفيقا مناسباً تماماً لولد في التاسعة من عمره . ولكن كان علي هيبوليت ان يذهب للخارج احيانا . ولم يمض علي فيليب الا بضعة شهور فقط في فيلا انا عندما سافر هيبوليت الى اليونان . وكان سيبقي هناك لعدة اشهر . لذا اغلقت فيلا انا ، وذهب فيليب الى فالمر ليعيش مع عمه وزوجة عمه .

ولم يكن لدي مربيته ، التي جاءت من باريس ، اي رغبة في البقاء في هذا الوادي الجبلي الهاديء . فاستقالت من وظيفتها وعادت الى باريس . فقرروا ان ياتوا بمربية انجليزية مكانها .

وكان هذا هو سبب وجودي هنا .. وهانذا أمر
عبر شوارع أعرفها .. وحدث عندئذ أمر غريب فقد
جالت بخاطري ذكرى فجائية .. سمعت صوت أمي في
رأسي ، وكانت تقول ، وأعتقد أنها كانت تقرا في إحدى
الصحف :

- ليون دي فالى .. ليون دي فالى قد كسر ظهره
في حادث ركوب خيل ويقولون أنه سيقضى بقية حياته
على كرسي متحرك .. أنه مشلول الآن ..

ثم جاء صوت أبي :

- أوه ؟ أني آسف لسماع ذلك ، ولو أنني كنت أود
أن يكون قد كسر رقبته ، أنك تعرفين كم أكره هذا
الرجل .. إنه لشيطان !

وخبت الذكرى مرة أخرى ، وتركتني عصبية
بعض الشيء هل لا يزال هناك شيء شيطاني بخصوص
ليون دي فالى ، يا ترى ؟

وسار التاكسي عبر شوارع باريس ..

الفصل الثاني

تقع بلدة ثونون الصغيرة شرق بحيرة جنيف على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا ، على الشاطئ الجنوبي من البحيرة . وتأتي من بعدها بلدة ايفيلن المشهورة بينابيع مياهها المعدنية .

وبعد أن وصلت طائرتنا جنيف ، جاءتنا سيارة سوداء كبيرة من فالسي . وحملتنا بكل راحة عبر الشوارع العريضة للمدينة ومنها الى جانب البحيرة ، ثم انحرفت شرقا في اتجاه الحدود الفرنسية وTHONON . ولقد تحدثت معي مدام دي فالسي قليلا جدا ، في الرحلة من باريس . وكنت محنتة لذلك ، لأنني لازلت لا أستطيع الشعور براحتي تماما معها . كما أن هناك

احساسا غريبا بالتباعد من ناحيتها ، الشيء الذى يجعلها صعبة للتألف ، فكان الحديث معها ليس بالسهل ، فأحيانا تسألنى سؤالا ، ثم تظهر عدم الاهتمام بالرد قبل أن أرد عليها .

استمرت السيارة فى المسير فى صمت . وعلى يسارنا تظهر البحيرة من خلف الأشجار ، وعلى يميننا ترتفع الجبال الثلجية ارتفاعا شاهقا خلف الحقول والغابات . لابد أن أحدها جبل مون بلان أعلى قمم الألب فى فرنسا . وتطلعت الى هيلواز دى فالى بجانبى لاستفسر منها ، ولكنى شعرت أن الوقت ليس مناسباً لأسألها .

كانت جالسة وعيناها مغلفتان . كان يبدو عليها التعب والقلق . انها على ما أظن ، فى حوالى الخامسة والخمسين من عمرها ، ومازالت امرأة جميلة ، بهذا النوع من الجمال الذى لا يتأثر بالسنين ، والذى كان جليا على تقاطيع وجهها ، بأنفها الطويل الرفيع وبجانبها المقوسين برقة . وكان شعرها فضيا ، ولكنه كان مرتبا بشكل بالغ الكمال ، أما بشرتها فكانت شاحبة صافية . فهى تبدو آخر أناقة ، ورقيقة أكثر من اللازم ، وكالمقر فى الوصول اليها .

كنت أجلس قابعة في ركنى بالسيارة ، وامامى
الكتفين العريضتين لسائق المدام ، وكانت تجلس بجانبه ،
البرتين خادمة المدام ، ربة ومتصلبة مثله .

لم أحب كثيرا ما رأيته من البرتين . انها امرأة
قائمة الوجه ، ربما في الخامسة والأربعين ، بعينين غير
صدوقتين ويدين دميمتين . لم تتكلم معى على الإطلاق ،
ولقد رأيته وهي تراقبنى بحملقة غاضبة . . كانت
تجلس الآن في سكون بجانب السائق . . كانا يبدوان
متلائمين تماما لبعضهما البعض حتى أننى كنت أسأل
نفسى اذا كانا متزوجين ، واكتشفت فيما بعد أنهما ،
في الحقيقة ، أخ واخت . . كان لبرنارد السائق أخلاق
مثالية ، ولكنه كان يبدو أنه لا يبتسم مطلقا .

عبرنا الحدود داخل فرنسا ، وبعدها وصلنا الى
ثونون . ويقع الجزء الرئيسى من البلدة مرتفعا فوق
البحيرة بشكل واضح . واستطعنا أن نرى من خلال
الأشجار بعض المنازل الكبيرة على شاطئ البحيرة .
فقال لى ، مدام دى فالى ، أن أحد هذه المنازل هى
فيلا أنا ، حيث يعيش هيبوليت ، الأخ الثالث في أسرة
فالى .

وفي ثونون انحرفنا جنوبا في اتجاه الجبال ..
وصلنا بعدها بقليل الى واد ضيق ، حيث تقاطع الطريق
مع النهر مرتين . وظهرت صخور مرتفعة على الجانبين ،
وأصبح الوادي في الظل .

بدأ الطريق في الصعود ، ثم الصعود ، ثم جئنا عند
منعطف وظهرت أمامنا من بعيد حقول فالى الممتدة
تحت أشعة الشمس .

فقالتم مدام دى فالى :

— هذه سوبيرو .. هناك عند مرمى البصر . انها
قريتنا ، قرية عائلة فالى !

تقع قرية سوبيرو في غور أخضر عريض بين التلال
.. انها تمتد ساطعة في العراء والهواء المفتوح ، ببرج
كنيستها ، وجسورها الثلاثة ، ومصنعها الصغير
لصناعة الساعات .

وقلت والسيارة تهبط القل مرة أخرى بين أشجار
كثيفة :

— وفالى ؟ لابد أننا بالقرب منها الآن ؟
فقالتم :

— هذه هي غابات فالى على يسارك • انها تمتد
عائدة على معظم الطريق الى ثونون • ويحدد النهر
الحدود بين فالى وديدون العزبة التى على يمين الطريق
•• سنعبّر النهر حالا وعندئذ ••

وابتسمت ابقسامه فاترة وهي تكمل قائلة :

— سوف ترين فالى •

كانت تتكلم كالمعتاد بهذا الصوت البارد الواضح •

ولكنى فكرت فجأة :

— انها تحس بالحنين • انها تحب هذا الوادى
المنعزل • وتملكنى شعور مفاجيء بالعطف نحوها ،
فقلت بصوت عال :

— أوه ، مدام دى فالى ، انه لمكان جميل !

فابتسمت وهي تقول :

— نعم ، الا ترين ذلك ؟ لقد كان بيتى لسنوات
عديدة ، ولايزال •

فقلت بعاطفة :

- صاحب المعيشة هنا ! اننى اشعر بذلك !

فقلت بتصلب :

- أمل أنك لتحببنيها ياآنسة مارتن .

ولم تكن تبتسم الآن ، ولكنها كانت باردة ومتباعدة
مرة أخرى . فنظرت اليها بارتياح ، والتفت ثانية الى
نافذتى اطلع منها ، فرأيت القصر فى تلك اللحظة يظهر
لى .

كانت غابات فالى ترتفع بميل منحدر خلف النهر ،

وهناك من فوقها يقف قصر فالى ، مبنى مربع
الشكل جميل من مباني القرن الثامن عشر . كيف
وصلوا اليه ، انى أتعجب ؟! اذ يبدو أنه يطفو عاليا
هناك فى ضوء الشمس ، فوق بحر الأشجار الداكن .

وأبطأت السيارة بعد ذلك وانعطفت مبتعدة عن
الطريق الرئيسى ، صاعدة على جسر حجرى صغير
جميل لعبور النهر . وبدأنا الآن فى صعود الطريق شديد
الانحدار عبر الأشجار سائرين من منعطف الى آخر .
فطريق فالى كان متعرجا . ضيقا ، منحذرا ومخيفا
بعض الشيء !

وخرجنا عن الطريق الى مسطح واسع من الأرض
المستوية أمام القصر ، مع حدائق معلقة ممتدة تحته •
واستدارت السيارة متارجحة في انعطاف كبير ووقفت
أمام الباب الشمالى الضخم •

فقال مدام دى فالى بابقسامة صغيرة عند خروجنا
من السيارة :

— هانحن قد وصلنا !

انبهرت بانطباعى الأول للمبنى الكبير الرائع
بساحته الأملية المربعة ومدخله الكبير المقوس الذى يؤدى
الى الساحة الرئيسية •• وأكثر ما بهرنى هو الاحساس
بوفرة نور الشمس والفضاء المكشوف ونقاء الجو وكان
النور الذهبى لساعات آخر النهار فى كل مكان •• وكان
الهواء باردا وفى منتهى النقاء ، مفعما بالرائحة الحلوة
لأشجار الصنوبر ، مع نتف واهنة من الثلج على
فروعها • لقد أصبحت بالتأكيد على مسافة بعيدة من
ملجأ الأيتام فى شمال لندن •

تبعت مستخدمتى صاعدة السلم العريض ثم دخلنا
بهر القصر ••

الفصل الثالث

بدا بهو القصر هائل الاتساع .. وقد يرجع السبب في ذلك الى انه مرتفع جدا وملئ بالظلال ..

وجاءت امرأة نحونا لترحب بنا ، قدرت انها مدبرة المنزل . كانت امرأة صلبة في حوالى الستين ، لها وجه صبور وصوت منشرح وللمفاجأة ، لم يكن صوت امرأة فرنسية .

كانت مدام دى فالى تنظر اليها ومنها الى نهاية البهو ، وقالت مستفجرة :

- السيد .. هل هو بخير ؟

- أوه ، نعم يامدام .. انه كان .. أوه . كما
اعتاد أن يكون .. مهتما بما يدور ، ولديه الكثير من
الخطط !

لم يظهر على وجه مدام دى فالى نفس السعادة
التي ظهرت على وجه مدبرة المنزل ، وقالت مستفسرة :
- خطط ؟!

- نعم يامدام .. لقد كان يتحدث عن أعمال متنوعة
يريد أن تنفذ في المنزل وفي الحديقة . لقد أتى برجل
هنا الآن ليرى ما يجب عمله .. لقد صعدا ليلقيا نظرة
على البناء الحجري في الشرفة الغربية .

كانت مدام دى فالى تخلع معطفها بحركات سريعة
عصبية .

وقالت بعدة :

- هل تعرفين اذا كان قد انته أخبار عن مسيو
ميبوليت ؟

- أعتقد ذلك يامدام . جاءت رسالة منذ أسبوع
التفتت مدام دى فالى نحوى وتحصنت باللغة
الانجليزية :

- آنسة مارتن ، مسز سيدون هي مدبرة المنزل
هنا . انها انجليزية ، وهكذا فلن تشعري بكثير من
العزلة . ان زوجها هو رئيس الخدم . هل جناح الآنسة
مارتن معد يا مسز سيدون ؟

- أوه ، نعم يا مدام .

وهزت مسز سيدون برأسها وابتسمت لى ، ثم
صعدت السلم ببطء وهى تتنفس بصعوبة .
التفتت مدام دى فالى وكأنها ستكلمنى ، ولكنى
رايت عينيها تمران من عند كتفى !

- ليون .

لم أسمع شيئاً ، والتفت بسرعة . وحتى عندئذ
مرت لحظة قبل أن أرى الظل يفصل نفسه من الظلال
الأخرى وينزلج للأمام .

وبالرغم من انى كنت أعرف ما اتوقعه ، اتجهت
نظرتى الى أعلى ، ثم نزلت . الى شخص على كرسي
متحرك كان ينزلج نحوى فى سكون .

شفقة ، فضول . الأحاسيس التى انبعثت داخلى ،
انقشعت جانبا مثل أوراق الشجر فى ريح قوية . لم يكن

ليون دى فالى هدفا لشفقة أحد . ولم تكن حالة شلله
 التى ادهشتنى ، انه كان أفضل شكل رجل رايته فى حياتى
 .. لقد اضاقت السنين فقط الى شكله الجميل فوق
 العادة : شعره الرمادى مرتبط بشكل أخاذ مع عينيه
 السوداوين وحاجبيه البارزين بشكل قوى .. وفمه
 المرسوم بجمال له هذه المسحة الرفيعة القاسية تقريبا
 والتى تحل محلها أحيانا رعشة ألم . وكأنت يداه
 تبدوان ناعمتين ، وكانهما لم يستخدمما بما فيه الكفاية .
 وكان شاحبا أكثر من اللازم . ولكن بالرغم من ذلك ،
 لم يكن هذا رجلا مريضا ، انه كان سيد المنزل .

كان يبتسم الآن وهو يحبى زوجته ، واضمأءت
 الابتسامة وجهه بشكل جذاب .. لم يكن هناك سبب
 على الإطلاق يجعلنى أحس فجأة بأنى عصبية ، أو لماذا
 كان على أن أتخيل أن صوت هيلواز دى فالى كان غير
 طبيعى وهى تقدمنى له . فكرت ، وأنا أراقبها ، أنها
 خائفة منه .. ثم قلت لنفسى بحدة الا أكون حمقاء ..

انحنيت قليلا الى أسفل لأصافحه ، وأنا حريصة
 الا أبدى أى علامة اندهاش أو جزع ، ولكن هذا كان
 خطأ .

وسال بلطف وهو ينظر الى زوجته :

— هل حذرك منى ؟

فهزت زوجته رأسها ، وقلت فى حيرة :

— حذرونى ؟

— أقصد عن حالتى !

فقلت بسرعة :

— لقد أخبرتنى سيدة ما عن الحادث الذى أصابك .
اننى قابلتها على الطائرة من لندن !

— أوه ؟ صديقة لنا ، ربما ؟

— لا اعتقد ، ولكننا كنا نتجاذب أطراف الحديث ،
وعندما أخبرتها اننى قادمة الى هنا ، تذكرت أنها
قابلتك .

فسالت هيلواز دى فالى :

— ما اسمها ؟

— لم أعرف اسمها . انها عجوز ، واعتقد أنها
قادمة من ليون ، أو شيء من هذا القبيل . لا أذكر .

فقال ليون دى فالى :

- ولتكن من تكون ، فانا سعيد انها اخبرتك .
وتردد لحظة ، ثم اضاف قائلا ببطء :

- لابد انك تظنين بعض الاشياء الغريبة عنا
يا آنسة مارتن ، ولكنى اعتقد ان زوجتى لا تعبأ بان
تتكلم عن .. حالة شلى . لذلك ، فمن المحتمل ان تصدم
الناس الذين يقابلونى لأول مرة . وانا نفسى .. حتى
بعد اثنتى عشرة سنة .. أخشى بشكل غير معقول
مقابلة اناس جدد وارى الفزع فى عيونهم .. ربما
تعتقدين اننا حمقى ازاء ذلك .

لقد اندهشت تماما بحديثه ، حتى اننى اجبت بدون
تفكير :

- لا ، ارجوك .. لا تعبأ .. ان حالة شلك هى
آخر شيء قد يلاحظه اى شخص بالنسبة لك .. انها
حقا كذلك .

وتوقفت فى فزع . لميبت هذه هى الطريقة لربية
جديدة ان تتحدث بها مع مستخدمها ! فقلت :

- انا .. انا آسفة . ما كان يجب ان اقول ذلك .
اننى قصدت فقط ..
- شكرا لك يا عزيزتى .

ورأيت وميضاً من الإنشراح في عيَّتيه ، وهو يضيف
قائلاً :

— اننا مسرورين لترحب بك في فالى يا آنسة
مارتن .

وبداً عندئذ يسألنى بعطف وحنان عن رحلتى
وتوقف احسباسبى بالضيق وعدم الارتياح . لقد بذل
كل طاقة سحره نحوى . . وأخذنا نتحدث ثلاثتنا لبعض
الوقت ، ونسيت كل متاعبى . كان مسيو ومدام دى فالى
زوجين رائعين ، وهذه هى بداية حبى للحياة في فالى
وللانتماء لعائلة مرة أخرى .

ولكنى لم أحاول أو أفسر ، حتى لنفسى ، لماذا
ادعيت كل هذه الأكاذيب عن المرأة التى التقيت بها في
الطائرة وأنها من مدينة ليون . أو لماذا لم تكن لدى
الشجاعة لأخبر ليون دى فالى ، أننى أتحدث اللغة
الفرنسية ، حتى أفضل مما يتحدث هو اللغة الانجليزية .
وعندما صعدت السلم لمقابلة مديرة المنزل ، لاحظت
انه يحملق في . وسمعت وفهمت الكلام الذى قاله بصوت
خافت لزوجته :

— مهما كان يا هيلواز ، فمن الممكن أن تكونى قد
اقتربت غلطة كبيرة . . !

كانت حجراتي من أحلى الحجرات التي عشت فيها
.. كانت بها نوافذ طويلة مواجهة لنهاية الغرب ،
وتفتح على شرفة ، ومنظر طبيعي معتد عبر الوادي .
فخرجت مباشرة الى الشرفة ، ووقفت مستندة على
الحافة الحجرية ، وتطلعت الى أسفل على قمم الأشجار
وتعرجات الطريق .

وقالت مسز سيدون :

— ان الشرفة ممتدة بطول المنزل . وهذه الحجرات
في نهايتها ، خصصت لتكون جناحا للأطفال ، وهي تفتح
على بعضها البعض . هذه هي حجرة الجلوس الخاصة
بك .. والآن سأريك حجرة نومك .

كانت أحلى وأحلى من حجرة الجلوس .. وأرتنى
بابا يكاد يكون مخفيا في الحائط ، وقالت :

— هذا هو الباب^{الخزفي} الى الحمام ، وحجرة نوم السيد
فيليب ، تفتح عليه من الجهة الأخرى . انك تشاركين
الحمام معه .. أمل الا تتضايقى من ذلك ؟

لقد كنا في ملجأ الايتام نقف صفا لدخول الحمامات ،
فقلت :

- لا ، ايذا !

وعبرنا الحمام الى مطبخ صغير ، يقع خلفه مباشرة
وبه موقد كهربائي فقلت :

- انه حديث جدا ، اليس كذلك ؟

- نعم ، لقد ادخلت الكهرباء عندما ولد مسـتر
راؤل . وكان هذا جناحا للأطفال دائما ، فالسيد
واخوته ايضا قد تربوا ، وعاشوا هنا .

فسالت :

- مسـتر راؤل ؟

- ابن السيد . انه يعيش في بلفين . انها عـزبة السيد
في جنوب فرنسا .

- نعم ، عندي علم بالعـزبة . ولكنى لم اعرف ان
للسيد ابنا . ان مدام دى فالـمى لم تحدثنى كثيرا .

- ان مسـتر راؤل ليس ابن المدام ، كما قد يتبادر
لذهـنك . فالسيد كان متزوجا قبل ذلك . . وام مسـتر
راؤل ماتت من اثنتين وعشرين سنة ، عندما كان في
الثامنة من عمره . ولقد تزوج السيد ثانية منذ ستة

عشرة سنة ، ومضت اثنتا عشرة سنة على الحادث الذي وقع له .

– لقد عرفت ذلك . هل كنت هنا في ذلك الوقت ، يامسر سيدون ؟

– آوه نعم ، لقد كنت هنا . لقد أتيت الى هنا منذ اثنتين وثلاثين سنة ، عندما تزوج السيد لأول مرة .

جلست على حافة السرير وتطلعت اليها باهتمام ، وقلت :

– اثنتان وثلاثون سنة ؟ ان هذا لعمر طويل ! هل أتيت مع مدام دي فالى الأولى ، اذن ؟

– بالضبط . انها كانت من شمال انجلترا ، مثلى
انا !

فقلت في اندهاش :

– اذن فهي كانت انجليزية ؟

– نعم ، طبعا . كانت فتاة جميلة ، أنسة ديبى .
لقد كنت في خدمة منزلها ، منزل عائلتها منذ ان كانت فتاة صغيرة . وقابلت السيد في باريس في احدى فصول

الربيع ، ثم تزوجته بعدها بشهرين ٠٠ وأرادتني أن
آتي معها الى هنا ، وقالت بأن زوجي يستطيع أن يأتي
كرئيس للمخدم .

— وعندما توفيت سيدتك ديبى ، ألم ترغبى فى
العودة الى إنجلترا ؟

— حسن . ان كلينا مرتاح هنا ، كما تريد .
بالإضافة الى أنني منذ طفولتى وأنا مصابة بأزمة ريو
وكانت حالتى الصحية سيئة فى إنجلترا ، ولكنها أفضل
بكثير هنا فى هواء الجبل .

— هذا بالإضافة لوجود ابن سيدتك ديبى ، اليس
كذلك ؟ وبالطبع أردت البقاء لرعايته ؟

— أوه ، لقد أتوا يعمريبات فرنسيات لمستر راؤل
وكان طفلا هادئا أيضا ٠٠ مثل السيد فيليب هنا ،
هادىء جدا ، ولا يثير أية مشكلة . انه مختلف جدا
الآن ! آه ، حسن يا آنسة ، انه نصف أجنبى ، اليس
كذلك ؟

وانتظرت فى شغف ، ولكنها لم تستمر فى حديثها
وبدلا من ذلك قالت :

— ان كان لى حق فى السؤال ، هل تذكرين أبويك ؟

- لقد كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما قُتلا
.. في حادث طائرة ، مثل والدي فيليب . اظن ان المدام
قد أخبرتك باننى كنت في ملجأ للأيتام بانجلترا ؟ ..
يسمونه دار الفتيات .

- نعم ، حقا . لقد كتبت انها سمعت عنك من
صديقتها ، ليدى بنشلى ، التى تاتى الى ايفيان كل
سنة .

- نعم ، ليدى بنشلى كانت احدى المربيات
المسئولات في « الدار » ، وكانت تهتم اهتماما شديدا بكل
البنات . وعندما حصلت على وظيفة في مدرسة بنين
وجدت ان لها ابنا هناك . وجاءت تتحدث معى في يوم
الزوار ، فاخبرتها بانى اكره المكان . فقالت عندئذ ان
صديقة لها كانت تبحث عن مربية لابن اخى زوجها ..
وعندما سمعت ان الوظيفة في فرنسا فرحت جدا . فانا
.. انا .. اردت دائما ان اعيش في فرنسا . وذهبت
الى لندن في اليوم التالى ، ورايت مدام دى فالى .

لقد كانت منهمكة في البحث عن فتاة لهذه الوظيفة
خلال الفترة القصيرة لوجودها في لندن ، حتى انها لم
تسألنى كثيرا عن بياناتى الشخصية وتاريخ حياتى .

لقد أخبرتها أن والدي الاثنين لقياً حتفهما ، وليس لدى أقارب آخرين ، ليهتموا بأمري .

فقالت مسز سيدون :

— لقد سر السيد جدا عندما وصل خطاب المدام وفيه كلام عنك . ولكن كقاعدة فهو يكره التغيير في المنزل . لذلك اندهشنا كلنا عندما أعفيت مربية السيد فيليب من وظيفتها بعد وجودها مع العائلة كل هذه السنوات ، وقالوا أن فتاة جديدة ستأتى من إنجلترا .

— أوه ، نعم . . . أخبرتنى مدام دى فالى عنها . ولكنها لم تعفى من وظيفتها ولم تطرد بالتأكيد ؟ لقد فهمت أنها لم ترغب في أن تعيش في فالى .

فقالت مسز سيدون بحزم :

— أوه ، لا . لا بد أنك أسأت فهم ما قالتها المدام . . . كانت المربية مفرمة بالسيد فيليب جدا ، وكاد يتحطم قلبها ، عندما أجبرت على الذهاب .

— أوه ؟ كنت متأكدة أن المدام قالت أنها قد رحلت لأن المكان منعزل جدا بالنسبة لها . لا بد أنني أخطأت الفهم .

تأهبت مسر سيدون للذهاب . وبدأت أفرغ حقيقتي
فتوجهت هي الى الباب ، ثم ترددت وقالت :

- السيد . . يبدو أنه ظريف معك ، اليس كذلك ؟

- ظريف جدا . لقد جعلني أشعر بالاطمئنان .

- هكذا إذن ؟ انه صعب مع الغرباء غالبا .

- أعتقد أنه أحيانا ما تكون نفسيته سيئة . هل
يأسف لحالته في بعض الأوقات ؟

- يأسف لحالته ؟ ليس هو ! ليس بسبب بسيط مثل

كونه مشلولا مدى الحياة ! ولا يوجد شيء تقريبا لا يقدر

على عمله . فلهذه كرسية الكهربائي والمصعد والتليفونات

في كل مكان ، وعنده برنارد ليذهب من أجله الى كل

مكان . . ولكن عندما يأتي راؤل هنا ، يذكر السيد بأنه

مشلول وعاجز !

فقلت مصدومة :

- يذكره ؟

- أوه ، لا عن قصد . ولكن . . حسن ، لعل مستر

راؤل هو السيد مثلما كان منذ عشرين سنة مضت .

— أوه ؟ انه يفعل كل الأشياء التي اعتاد والده ان يحب فعلها ؟ .. ركوب الخيل ، مثلا ؟

فتطلعت باندعاش وقالت :

— هل اخبروك عن ذلك ؟

— لا ، انا .. سمعت ذلك من اناس يعرفونهم .

— أوه ، نعم كان يحب الرياضة .. جميع انواع الرياضة : ركوب الخيل والموتوسيكلات وسباق الزوارق والسيارات ، وكانت الخيل هي الشيء الرئيسي .

— والآن ما عليه الا ان يجلس ويراقب ابنه وهو يركب ؟

فقالت مسرّ سعيدين :

— اما بالنسبة لذلك ، فمستقر راؤول ليس لديه المال .. والا لساّر على منوال أبيه ، وعلى كل فهو لا يأتي الى هنا كثيرا . ولكن في كل مرة توجد مشكلة بسبب النقود .

كنت افكر انه اذا كان راؤول دى فالى ، في الحقيقة نسخة أصغر من أبيه ، فهو في نفس الوقت يزور فالى نادرا . لم استطع ان اتخيل اثنين من ليون دى فالى

مرتاحين سويًا في نفس المنزل . وعند التفكير في ليون ،
جاءتني لحظة قلق وعدم ارتياح ولكن ماذا هناك ليسبب
ذلك ؟!! ذكرى عمرها اثنتا عشرة سنة ، وشهور
بشخصيته القوية يداعبانني لأشياء إلا لاثارة قلقي .

وخطر ببالي عندئذ ، غياب شخص واحد هي
الترحاب بقدمي إلى قصر قلمي . كان هذا هو مالك
القصر كله ، أهم شخص في عائلة قلمي . . . مسيو
الكونت فيليب ، سألت :

— أين السيد فيليب يا ميسز سيدون ؟

— من المحتمل أن يكون في حجرة الدراسة ، في
الجانب الآخر من حجرة الجلوس . ولكن المدام قالت
لاداعي أن تزعج نفسك مع الليلة . والآن لا بد لي أن
أذهب .

وفتحت ميسز سيدون الباب وقالت :

— سوف تحضر بيرث الشاي . إنها الفتاة التي
تخدم على هذه الحجرات .

وذهبت ميسز سيدون أخيرًا ، حسن ، هناك شخص
في المنزل يحب الحديث !

وسرت عبر حجرة الجلوس ، وطرقت بلطف على
باب حجرة الأطفال ، وفتحتها . .

الفصل الرابع

كان أول تفكير لى هو انه ليس بصبي جذاب ..
كان صغيرا على سنه ، برقبة صغيرة نحيفة تحمل رأسه
المستدير بشعره الأسود . كانت عيناه سوداوين
وكبيرتين جدا ، ووجهه كان شاحبا وانتصب على قدميه
ببطء ، فقلت باللغة الإنجليزية :

- انفى الأنسة مارتن . لابد انك فيليب !

فاوما براسه وبدا عليه الخجل . ثم تذكر مركزه
فمد يده قائلا :

- مرحبا بك يا آنسة مارتن .

كان صوته ضئيلا رفيعا مثله . وخطرت الفكرة لى
ثانية بحدة وأنا أصافحه . فكرة انه هو صاحب ومالك
فالى .

وحملق فى اللحظة ، ثم قال :

- هل ستعلميننى حقا اللغة الانجليزية ؟

- نعم !

فقال :

- انك لا تبدين كمربية .

- اذن لابد ان أحاول ان أبدو كذلك .

- لا ، انا أحبك كما انت . . فلا تتغيرى .

فضحكت وذكرنى فيليب الآن بعمة ، وقلت :

- أشكرك يامسيو الكونت .

وبرقت عيناه السوداوان بوضوح وهو يقول :

- هل ستعطينى درسا غدا ؟

- اتوقع ذلك . من المحتمل ان تخبرنى زوجة عمك
الليلة .

- هل رايت .. عمى ؟

ولاحظت ان هناك تغيرا طفيفا في صوته الخشيل
الرفيع ، فقلت :

- نعم ا

كان واقفا ساكنا تماما بطريقة غير طفولية ، فادركت
فجأة بان وظيفتي لن تكون وظيفة سهلة . ولكن من
الواضح انه لن يكون صعبا في التحكم وفي السيطرة
عليه .. ولكن اليس لي ان أعرفه أولا ؟

واستقرت حياتي في عالمي بعد ذلك على نمط بسيط .
تصل كل صباح مدرسة فيليب الخصوصية وتعطيه
دروسا ، حتى موعد الغداء . وعندما تنتهي اعمالى
المختلفة حول حجرة الدراسة ، أصبح حرة في ان افعل
ما اريد . فاشغل نفسى بسعادة في اكتشاف الحقائق ،
او في القراءة التى احبها .

ومكتبة القصر تحتوى بالطبع على كتب انجليزية ،
ولكن حيث انها كانت حجرة مكتب ليون دى عالمي
الخاصة ، فلم اطلب الاذن باستخدامها . وكان في حجرة
الدراسة ارفف كثيرة تزخر بالكتب الانجليزية والفرنسية
.. وعندما اقرا باللغة الفرنسية ، فانى اقراها سرا .

وذات مرة ضبطت متلبسة • كنت اقرأ كتابا فرنسيا
في حجرة نومي ، وكنت مستغرقة جدا في القصة ، فلم
أسمع الطرق الذي على باب • وجاءت بيرث الخادمة ،
لتنظيف الحجرة • ولم تلحظ شيئا ، ولكني لعنت نفسي
وقررت أن أكون أكثر حرصا • وتمنيت للمرة المائة لو
أننى لم أبدا مطلقا هذا الادعاء السخيف •

لم أعد اعتقد أن يعترض أحد على ذلك ، فلقد
أصبحت أنا وفيليب على وفاق تام ، وبدأت مدام دى
فالى أنها تحبني • ولكني كنت لا أريد أن تعرف أننى
قد خدعتها • وكما هو الحال مع كل خدعة ، ينمو الأمر
ويكبر ، يوما • ولحسن الحظ أنهما في حضوري كانا
يتكلمان دائما بلغتهما الانجليزية الممتازة •

وعند بعد الظهر من كل يوم ، كنت أذهب في جولة
مع فيليب ونبدأ في • محادثتنا الانجليزية • ، وكنت
غالبا ما أتكلم عن الأشياء التي نراها من حولنا ، ولكن
اجاباته كانت قليلة • واعتقد أن خجله الطبيعي قد نجم
عن فقدان المفاجيء لوالديه • وامتنعت عن محاولة
سبر أغواره والتعرف على شخصيته ، فلم أرغب في أن
أقحم نفسي في عالمه الخاص •

ولم يكن خجله نحوى أنا فقط .. ففى كل مساء
عند الخامسة والنصف ، أخذه ونزل الى حجرة
الجلوس الصغيرة ، حيث تتحدث زوجة عمه معه لمدة
نصف ساعة .. كانت المحادثة صعبة ، جامدة وغير
طبيعية ، ولكن فيليب كان يجيب على الاسئلة بأدب
ولا يسأل أى سؤال مطلقا ، أو يبدى أية ملاحظة خاصة
به .

لم يحضر عم فيليب ذلك اطلاقا . وفى البداية
وضعت اللوم عليه لقلة اهتمامه بالصبي الصغير
الوحيد ، ولكنى أدركت بعد ذلك أنها ليست غلطته وحده
.. فقد كان فيليب يتجنبه تماما .

ولم يظهر لى أى سبب مقنع لهذا النفور . ففى
المناسبتين أو الثلاث خلال أسبوعى الأول التى التقينا
فيها مع ميسو دى فالى ، كان لطيفا جدا مع فيليب .
وسأله :

— فيليب ، لماذا تتجنب عمك ليون ؟

فظهرت على وجهه نظرة جوفاء ، وقال باللغة
الفرنسية :

— لا أفهم !

- انجليزى ۰۰ من فضلك ۰ وانت تفهم جيدا
تماما ۰ انه طيب جدا معك ۰ ولديك كل شيء تريده ،
اليس كذلك ؟

- نعم ، كل شيء اريده ، عندي ۰ ولكنه لا يعطيه
لى ۰

- من اذن ؟ هيلواز زوجة عمك ؟

فهز راسه وقال :

- انها ليست املاكهما ليعطيانهما لى ۰ انها كانت
لابى ، والآن فهي لى ۰

فتطلعت اليه ورأيت البريق فى عينيه السوداوين ۰
نعم ، انه الكونت دى فالى ۰

- طبعا انها املاكك ۰ وهو يحتفظ بها من اجلك ۰
انه الوصى عليك ، اليس كذلك ؟

هبت عليه الحيرة ، وقال :

- وصى ؟ انا لا اعرف هذه الكلمة !

- انه يحافظ على فالى الى ان تكبر ۰ ثم تحصل
عليها انت ۰

— هل كلمة « وصى » تعنى ذلك ؟ اذن عمى هيبوليت
وصى ايضا • فعمى ليون يحافظ على الممتلكات ، وعمى
هيبوليت يحافظ على انا •• لقد سمعت ابنى يقول ••

وبينا يتكلم باللغة الفرنسية :

— •• « ليون سوف يشرف على المكان ، فنحن
نشق فيه على ذلك » • وامى قالت : « ولكن هيبوليت يجب
أن يأخذ الولد اذا حدث اى شىء لنا • انه لا يمكن أن
يترك لليون • » هذا ما قالته امى !

وتوقف وهو يخلق فعه باحكام على الكلمة • لقد
لاحظت من قبل انه لم يتحدث مطلقا عن والديه ••
واضاف قائلا :

— وددت لو انى لم اترك عمى هيبوليت •• اقد
ذهب الى اليونان • اردت أن اذهب معه ، ولكنه لم
يستطع أن يأخذنى معه !

— سوف يأتى قريبا •

— نعم • ولكنه وقت طويل •

فقلت :

- سيمر ، واثناء ذلك سوف اهتم بك واحافظ عليك وعملك ليون سوف يرعى فالى . انه يقوم بذلك جيدا ، كما تعرف .

وهكذا حقيقى . فيبدو لى ان ليون يقضى كل وقته حقا . وكل ذاته ، من اجل هذا المكان . ويوما وراء يوم ، والكرسى المتحرك يسير حول الشرفات والحدائق الرسمية وحدائق المطبخ والجراجات . . . وكل مكان يستطيع ان يذهب اليه الكرسى المتحرك .

وفي نهاية الاسبوع الثانى لى فى فالى ، حدث امر جعلنى افهم موقف فيليب .

كنت انا وفيليب قد نزلنا للقائنا المعتاد فى الخامسة والنصف مع مدام دى فالى ، فى حجرة الجلوس الصغيرة . . . وكانت تصرفنا بانتظام فى السادسة ، ولكن اثناء انصرافنا نادت على لأمرا .

وبعد دقيقة او اكثر قليلا غادرت الحجرة . كان فيليب واقفا ، يبدو عليه الشعور بالاثم والبؤس ، بجانب المنضدة خارج الباب . وكان يوجد على كل جانب من المنضدة كرسى صغير جميل بمقعد من الحرير الأصفر . وعلى مقعد أحد الكراسى رايت عندئذ خطا سميكا من الحبر ، كما لو ان قلما قد تدحرج من المنضدة على

الكرسى • لقد كان فيليب يكتب لعمه هيبوليت وقد وضع
القلم مفتوحا على المنضدة قبل الذهاب الى الحجرة ••
انه يمسك بالقلم الآن ويحملك بوجه أبيض فى عمه •

كان يبدو صغيرا أمام الكرسى المتحرك ، كما كان
يبدو آثما مستسلما بلا دفاع • وكان عمه يتكلم بصوت
مخاضب مخيف :

— انك تأتى مرة واحدة فقط فى اليوم لهذا الجزء
من المنزل ، ومع ذلك يبدو أنك لم تعرف بعد كيف تتصرف
مثل أى شخص متحضر ! •• ربما فى بيتك فى باريس
كانوا يسمحون لك أن تتصرف بهذه الطريقة الهمجية ،
ولكن هنا •••

فقال فيليب بصوته الضئيل :

— هذا بيتى ••

ثم أضاف بصوت منخفض أكثر ، ولكنه واضح
جدا :

— وهذا كرسى !

ونشأت لحظة صمت رهيب • وجاء شىء ما فى وجه
ليون دى فالى وذهب • وأخذ فيليب خطوة الى الخلف ،
واسرعت خارجة من المدخل •

وتطلع ليون دى فالى نحوى ورآنى ، ثم تكلم مع
فيليب بهدوء ، وكان غضبه لم يكن :

— عندما تستعيد هدوء أعصابك وأدبك يا فيليب ،
سوف تعتذر على كلامك هذا .

وارتفعت العينان السوداوان الى ، وقال ببرود ،
ولكن بأدب شديد :

— آه ، أنسة مارتن . مع الأسف ، لقد وقع حادث
بسيط . عليك تأخذين فيليب الى جناحه وتقنعيه أن الأدب
أحد خصال السادة الرجال .

فنظرت الى وجه فيليب الأبيض ، وقلت :

— لا حاجة لذلك ، فهو سيعتذر الآن .

واخذته من كتفيه وأدرته ليواجه عمه . كان ينتفض ،
فقال فى صوت رفيع :

— استمعيك عذرا اذا كنت قد أسأت الأدب .

وتطلع ليون دى فالى منه الى ، وقال :

— حسن جدا ، لقد نسيت هذا • والآن سوف تأخذك
الآنسة مارتن لتصعد الى اعلى •

واثناء زهابنا كنت شاعرة جدا بهذا الشخص
الكسيح الصامد الجالس هناك يراقبنا ••

بعد ذلك ساعدت فيليب على أن يبتعد عن طريق
صمه •

الفصل الخامس

استمر جو الربيع في روعته .. وكانت التلال
مازالت مغطاة بالثلوج ولكن الوادي كان سـفـنـسـيا
اخضر ، وفي كل يوم كان يزداد اخضرارا .. !

بعد ظهر كل يوم كنت أنا وفيليب نخرج لتريضنا
المعتاد . ويبدو أن هواء الجبل جاء على هواء ، فاسترد
وجهه الشاحب لونه . بل وكان يضحك ويجري قليلا هنا
وهناك .

وكانت احدى تمشيائنا المعتادة هبوط مسار منحدر
الى قرية سوبيرو .. وكان افراد الاسرة يطلبون منا

غالبا شراء بعض الحاجيات . ويبدو أن هناك دائما شيئا ما لابد أن نحضره من الصيدلية !

وفي صباح أحد الأيام . . وكان الأول من شهر ابريل . . توجهت مع فيليب الى القرية بعد الافطار مباشرة . وكان اليوم الاثنين ، وكقاعدة ففي يوم الاثنين يأتى قس سوبيرو الى القصر ليدرس للكونت الصغير دروسا في اللغة اللاتينية واليونانية والدين . . ولكن القس كان قد أصيب في ساقه ، ولكى لا يضيق فيليب دروسه ، أخذته نازلة به الى منزل القس ، وتركته هناك .

وكانت هذه أول مرة أكون فيها وحيدة في القرية . . فوقفت في الميدان الصغير خارج الكنيسة ، ونظرت الى المشهد الآمن الذى يشعطمأنينة من حولى . كان قلبي خفيفا من السعادة . . يكاد يطير . . كان صباحا جميلا ، وكنت خالية . . حرة . . طليقة لمدة ساعتين ، ومعى بعض النقود في جيبى . وبدت ظلال ملجأ الأيتام تختفى وتتلاشى في نور شمس الجبل الساطعة !

مشيت الى الصيدلية . لقد عرفنى الصيدلى جيدا بعد ترددى عليه ، ولكنى لم أرتح لمقابلته مطلقا .

واخترت بعض قطع الصابون المعطرة لنفسى ،
اثناء ذلك كان الصيدلى يتطلع الى بوجه عابس ، فقلت :

- مدام دى فالى طلبت منى ان احصل لها على
دواء القلب الخاص بها وكذلك الأقراص المنومة .

- حسن جدا .. هل لديك الروشتة ؟

- الروشتة ؟

فكر ببطء ، وكأنه يوجه كلامه لطفلة صغيرة :

- لابد .. ان يكون .. معك .. روشتة .. من
الـ .. طبيب ..

- اوه : لا اظن انها اعطتنى روشتة . هل يمكن لى
ان احضرها المرة القادمة ، مسيو ؟ لقد طلبت المدام
شراء هذا الدواء بشكل خاص .

- لا ، لا أستطيع ان اعطيك الدواء بدون روشتة .

وكان من المستحيل اقناعه . فاخذت اتابع قائمة
الاشياء الأخرى المطلوبة منى ، واضفت قائلة :

- ودواء الربو لمسز سيدون ..

فقال الصيدلى :

- لقد أخذته الأسبوع الماضي .
- لا اظن ذلك ، انها وضعت في قائمة اليوم .
- اعرف انك أخذته . ربما نسيت ان تعطيه لها .
- انها لم تمسك الروشقة ، اليس كذلك ؟
- لا اذكر .. أوه ، هاهي ، في حقيقتي !
- فنظر اليها وقال في شماته :**

- انها ليست لدام سيدون . انها لدام دي فالى .
- دواء القلب الخاص بها ..
- فابتسمت له قائلة :**

- أوه ، فهي معي طول الوقت ! اذن يمكنك ان
- تعطيني الدواء على كل حال .
- وبدلا من أن يرد الابتسامة ، رمقني بنظرة غريبة ،
- وقال :**

- نعم . هاهو .. ولا بد ان اهنك على طريقة
- تحسن لفتك الفرنسية يا دموازيل .
- فقلت :**

- شكرا مسيو ، انى ابذل كل جهدى وادرس كل
يوم . وقريبا سوف تنسى انى انجليزية .

فكرر صوت رجل من خلفى مباشرة الكلمة
مستفسرا :

- انجليزية ؟

فنظرت خلفى مندهشة . كان يقف فى مدخل الباب
شاب ضخم ، وظله يملأ المحل . وجاء نحوى ، وقال :

- معذرة ، لكن هل انت انجليزية حقا ؟

- نعم .

- اوه ، انا . . . انت نجدة من السماء !

وارضى بصره على بخجل . فرأيت عينين زرقاوين
فى وجه لفحته الشمس ، وشعرا اشقر غير مرتب وكثيفا
وتساعل الشاب قائلا :

- اتساعل . . . هل يمكن ان تساعدنى ؟ لدى قائمة
طويلة من الاشياء اريد الحصول عليها ، ولا اتكلم اللغة
الفرنسية . ويبدو انك تتحدثين بها جيدا . . . !

فابتسمت قائلة :

- بالطبع سأساعده .. لابد أنك شجاع لتأتى فى
اجازة هنا بدون أن تعرف اللغة الفرنسية .

- اجازة ؟ انا هنا فى عمل .

فنظرت الى قائمته ، وقلت :

- يبدو أنه عمل خطر ، اذا انت تحتاج لكل هذه
الأدوية والضمادات !

هضحك وقال :

- ما انا الا مهندس غابات .. انى معسكر فى كوخ
فى الغابة على ارتفاع الف ومائتى متر ، ولذلك فكرت أن
أحصل على بعض الأشياء فى حالة حدوث أى حادث أو
مرض .

حملت فى الجسم الصلب الضخم الواقف بجانبى .
انه بكل تأكيد لا يبدو رقيقا ، وقال :

- الشيء الوحيد فى القائمة الذى سأحتاجه بالتأكيد
هو آخر واحد . وأستطيع ان أطلبه بنفسى اذا اقتضى
الأمر .

- براندى ؟ نعم ، بالتأكيد تستطيع ذلك .

والتفت الى الصيدلى وأخذت أتابع القائمة ببعض
الصعوبة . ودفع الشاب الانجليزى ثمن مشترياته
والتقطت أشياء واستدرت للانصراف . وعندما وصلت
الى الباب ، قال الصيدلى بصوته البارد الرخو :

— لقد نسيت دواء القلب لدام دى فالى .

ومد يده باللفافة لى . وكان وجهى احمر عندما
لحقت بالشاب الانجليزى .

ويادرنى بابقسامته الخجولة قائلاً :

— مازال على أن اشترى البراندى . ترى هل
ستساعدنى فى شراء ذلك أيضا ؟

— قلت أنك تستطيع أن تطلب ذلك بنفسك .

— أنا .. حسن ، أمل أن تأتى معى ودعيني أدعوك
على شراب ، لأشكرك على ما أسديته لى من معروف ..
أرجوك .. !

فقلت :

— اننى مستعدة لذلك .. فلا مانع !

كانت المقهى مجاورة للصيدلية . فجلسنا فى الشمس

على احدى الموائد خارج المقهى ، وطلبنا قهوة ، وقال
والهيلي :

- اسمى بليك . وليم بليك .
- اسم لطيف .. تشرفت بمعرفتك ، واسمى ليندا
مارتن ..
- لو حق لى السؤال .. ماذا تفعلين فى سويسرا ؟
- انا هنا فى عمل ايضا .. اننى مربية .
- طبعاً . لابد انك الفتاة الانجليزية من فالى .
- نعم .. سمعت عنى ؟
- كل شخص يعرف كل شخص اخر هنا .. على
اية حال انا جار قريب .. اننى اعمل فى العزبة
المجاورة .

انقلت باهتمام :

- اوه ، ديودون ؟
- هى . مالکها يقضى معظم وقته فى باريس او
الجنوب . ومثل مستخدمك ، فهو يحصل على كثير من
دخله من اشجاره ومزارع كرومه .

- مزارع كروم ؟ لا توجد مزارع كروم في فالسي .
- لا ، ولكن هناك عزبة في الجنوب على ما اعتقد .
- نعم بلفين . ولكن هذه من أملاك مسيوى دى فالسي الخاصة . وبالتأكيد لن ينفق دخلها على فالسي .
- حسن ، الناس تقول أن معظم دخل بلفين كان يأتى الى هنا حتى بضعة سنين مضت ، كانت توجد وفرة من المال ، على أية حال .

فقلت :

- وهل لا يزال ، أو هكذا يبدو .
- نعم ، سمعت أن الأمور تتحسن ثانية .
- ونظر الى ، وأضاف قائلا :**
- مربية . انها حياة رهيبة ، اليس كذلك .
- ممكن أن تكون كذلك . ولكنى أحبها . أحب فيليب . . تلميذى . . وأحب المكان .
- الست وحيدة . . أقصد بعيدة عن الوطن . . ؟

فضحكت قائلة :

- وطني في انجلترا كان خمس سنوات في ملجا
الايام . وغالى عبارة عن مغامرة غريبة بالنسبة لى !

- اعتقد ذلك . هل هذا ما تريدينه ، مغامرة ؟

- طبعا ! من لا يريد ؟

لقال مستر بليك بحزم :

- انا لا اريد !

- وما الذى جعلك تاتى الى هنا ؟ احكى لى عن
عملك .

- لا يوجد ما يستدعى ان احكيه .

وفعلا فليس هناك الكثير ليقوله . فحياته سارت
على وتيرة منتظمة . بيت طيب ومدرسة مناسبة ،
وسنتين في الجيش ، ثم الجامعة . . . وبعدها القرار في
الذهاب لدراسة خاصة ، مدتها سنتين ، في بعض
امراض اشجار الصنوبر . وبدأ يتحدث عن عمله . ان
الحياة في غابة الصنوبر لا تنقصها المغامرة ، فالاشجار
كما هو واضح تهاجمها انواع شتى من الحشرات ،
الشيء الذى يجعل النهار مليئا بالاثارة . واثناء حديثه
اصبح منفعل بالحماس لعمله .

وأوقف نفسه فجأة . وأحمر وجهه بعض الشيء .
وقال :

- حسن . على أية حال . هذا هو السبب في
وجودي هنا . ومستخدمى انسان طيب جدا . . انه
صديق لوالدى . لقد أعطانى هذا العمل وهو أن أعفى
بغابته . وبالتالي أستطيع أن أقوم بدراساتى وأكسب
بعض المال في نفس الوقت . . انى أستفيد خبرة قيمة
وأنا أحب العمل في هذا البلد . ولكن هناك الكثير
لتعلمه . بما في ذلك اللغة .

- اذا كنت تعيش بمفردك ، فلا أرى سببا لاحتياجه
لها .

- أوه ، اننى لست في الكوخ طول الوقت . وأنا
أنزل الى « كوك هاردى » كثيرا . . ذلك المقهى القريب
من سوبيرو انه مفعم بالضجيج . ولكن صاحبه يتكلم
اللغة الانجليزية والطعام فيه جيد . . آه ، هل هذا هو
صبيك الصغير ؟

استطلعنا رؤية بوابة حديقة القس وهى تفتح ، وظهر
فيليب مع مدبرة منزل القس . نهضت على قدمى فرأنى
الصبى وركض عبر الميدان في اتجاهنا . فقلت له :

- لقد خرجت مبكرا عن موعدك يا فيليب • هل
تعيب القس منك ؟

- لا •• انه متعب ، ولكن ليس •• عنى ••

- فهمت • فيليب ، هذا هو مسيو بليك الذى يعمل
في عزبة ديودونى •• مستر بليك ، الكونت دى فالى •

فتصافحا ، وساله فيليب :

- ماذا تعمل فى العزبة يامسيو ؟

- انا مهندس غابات •

- مهندس غابات •• اوه ، فهمت • نحن لدينا
مهندسين غابات فى فالى •

- اعرف • لقد قابلت واحدا او اثنين منهم •
وهناك واحد يسكن بجوار « كوك هاردى » •

فقال فيليب :

- اما بالنسبة لذلك ، فانا لم اتعرف عليهم بعد •
فلم يمر على وقت كبير هناك •

- نعم ، اعتقد ان عمك هو الذى يدير هذه الأمور •
فقال فيليب :

- نعم ، انه .. الوصى .. على .

وكان فخورا انه تذكر الكلمة . فابتسم وليم وقال :
- أنا سعيد بلقائنا هذا !

فقلت :

- من الأفضل أن ننصرف ، مستر بليك .. شكرا
جزيلا على القهوة .. وأنا سعيدة جدا بلقائنا !

- اوه أرجوك .. لا تذهبي وتختفي . متى نستطيع
أن نلتقي ثانية ؟ هل انت غير مشغولة في المساء ؟

- يوم الجمعة فقط .

فقال بنبرة خيبة امل :

- اوه . ان هذا سيء لى . لقد وعدت بعض
الأصدقاء لمقابلتهم .

فقلت :

- لابد أن نذهب الآن . بالتأكيد سوف نلتقي ..
فالوادي ليس كبيرا .

واثناء عبورنا للميدان ، رايتہ يلعب في مشقرواته.
ويتأهب للذهاب هو الآخر ..

الفصل السادس

ذلك المساء تهشمت وتيرة حياتنا الهادئة . وكنا قد انتهينا من تناول الشاي في حجرة الدراسة . وكان فيليب يلعب ببعض عساكر من الدمى أمام المدفأة ، وأنا جالسة أقرا له بصوت عال ، عندما سمعت صوت سيارة تتسلق المنعطفات ، وتقرب رويدا ، رويدا .

لرفع فيليب رأسه وقال :

— سيارة ! شخص ما قادم !

وقفز ناخضا وركض ليفتح النافذة الطويلة . واختفى جهة اليمين بمحاذاة الشرفة . فأسرعت وراءه وصحت قائلة :

— فيليب ! ماذا أنت فاعل ؟

لقد ركض الى نهاية الشرفة حيث تطل على الساحة
الامامية ، وكان يعمل بقامته في لهفة ، فقلت :

— سوف تقع اذا تعلقت هكذا • انتبه ، فاهريز
الشرفة ليس ثابتا •• انا متأكدة ، فهذا الحجر الكبير
يتحرك • لا بد انها احد الاجزاء التي سوف يصلحونها •
ولكنه لم يصغ الى ، فقلت بحزم :

— ارجع فوراً يا فيليب • من يكون هذا ، على أية
حال ؟

تارجحت السيارة مندفعة داخل الساحة الامامية ،
واضواؤها تنعكس في بريق على القضبان الحديدية المدببة
التي اسفلنا وخرج رجل وذهب ناحية السلالم الامامية •

استدار فيليب في صمت وقفل راجعا الى نافذة
حجرة الدراسة • وتبعته للداخل • كان منتصباً بجانب
الدفأة ، ووجهه وكل جسده يبنىء عن خيبة امله بشكل
حاد الى ان جلست ثانية بدون أى كلمة •

وبعد بضع دقائق قلبت في عدم اكتراث :

— من كان هذا ، هل تعرف ؟

- مسيو فلوريمون ، على ما اعتقد .

- مسيو فلوريمون ؟ انك لا تقصد مصمم الأزياء المشهور ، هل هو ؟

- انه هو . اعتاد أن يزورنا كثيرا في باريس ، وهو صديق لزوجة هـمى . هل تعرفونه في انجلترا ؟
- طبعاً .

حتى في دار الفتيات ، سمعنا عن فلوريمون العظيم .
.. انه واحد من أشهر مصممي أزياء في باريس .
واضفت مستفسرة :

- هل هو جاء ليبنى ؟

- لا أدري .

وعبر صوته أيضا على أنه لا يعبا ، فقلت بلطف :

- هل كنت تتوقع أحدا آخر يا فيليب ؟

فرفع بصره محمقا ، ثم أخفضه .

- ابن عمك راؤل ، ربما ؟

فلم يجب ، فحاولت ثانية :

— ألا تحب مسيو فلوريمون ؟

— نعم ، أحبه جدا .

وحذرني شيء ما في وجهه أن اتوقف عن توجيه
الأسئلة له . **وقلت :**

— جاء موعد نزولنا لمقابلة زوجة عمك .

وفي حجرة الجلوس كانت مدام دي فالى ومسيو
فلوريمون ، يجلسان على كنبية مزينة برسومات الورد ،
يتبادلان أطراف الحديث .

تطلعت باهتمام الى زائرننا . لا أدري ماذا كنت
أتوقع أن يبدو واحد من « الخمسة الكبار » في تصميم
الأزياء ، أعرف فقط أن فلوريمون العظيم لم يكن يبدو
كما توقعت . كان كبير الحجم ، أشيب الشعر وغير
مهندم . كانت عيناه الزرقاوان عطوفتين .

كان يحكى قصة ما ، ومام دي فالى تضحك ،
وكانت تبدو أسعد عما شاهدها عليه من قبل . وأدركت
كم كانت حلوة ، قبل أن يمتص الزمن والمأساة الحياة
من وجهها .

والتفتت ورائتنا بجوار الباب فاخفتت فرحتها ..

ولحسن الحظ ، لم ير فيليب الضيق المرسوم على وجهها
وهو يتقدم نحو فلوريمون الذى كان يحييه بضجيج من
السعادة والحبور :

- فيليب ! يا للسعادة ! كيف حالك ؟

- اننى بخير ، أشكرک يا مسيو .

- يبدو أن هواء فالى يناسبك . طبعاً ، عندما
يكون الانسان محظوظاً بما فيه الكفاية ويحظى بأنسة
جميلة كمرافقة له ، فمن المتوقع أن يبدو فى أحسن
حال !

كانت هذه الملاحظة فوق فهم فيليب بلاشك . ولما
كانت باللغة الفرنسية ، فلا بد أن تكون فوق فهمى أنا
ايضاً .

فقالت هيلوان دى فالى :

- لا تضيع سحرك هباء ياكارلو ، أن لغة الأنسة
مارتن الفرنسية تتحسن كل ساعة ، كما قيل لى ، ولكن
لا اعتقد أنها وصلت هذه المرحلة بعد .

ثم أضافت باللغة الانجليزية :

- آنسة مارتن ، دعيني اقدم لك مسيو فلوريمون
سوف تسمعين عنه بلا شك .

فقلت وأنا أصافحه :

– حتى في ملجأ الأيتام سمعنا عن مسيو فلوريمون
.. ولكنى منذ أن جئت الى فالى فقط سعدت بأن أشاهد
ابتكاراته تلبس كما يجب أن تلبس .
والتفت نحو مدام دى فالى ، التى قالت :
– اشكرك يا آنسة مارتن .

وكانت عيناها تشعان محبة وعطفا وهى تبسم لى .
ولكن حتى اثناء ما كنت أعيد الابتسامة لها تسربت
المحبة بعيد ، ونحت وجهها لتلتفت الى شغل الابرة
المنشغلة به . وقبل أن تبعد عينيها ، اعتقد أنى رأيت
نفس النظرة القلقة الغريبة اننى لاحظتها في يومى الأول
في فالى .

طردت الفكرة في الحال . فلم أعد اتخيل انها تخاف
زوجها ، فدن الجلى أن الاثنين متقاربان جدا ، أما
موقفها منى .. ومن فيليب أيضا .. فكان جزءا من
جمودها العام . وقد يأخذ وقتا ليذوب ، وقالت :

– تعال يا فيليب واجلس بجانبى . لا يا آنسة
مارتن لا تهربى . اجلسى وضيفى مسيو فلوريمون .

وأثناء الغائها الأسئلة المعتادة على فيليب عن نشاطه اليومي . قص على مسيو فلوريمون حكايات مسلية عن حياة باريس . وانغمست في الحال كلية في قصصه . . على الأقل كان يجب على أن أفعل ذلك ، لولا أنني شعرت أن هيلواز دى فالى تراقبني بذلك التعبير الغريب ، ولولا أنني كنت أتساءل داخل نفسي من الذي بلغ من تحصني في اللغة الفرنسية من ساعة لأخرى .

وذكرني دخول سيدون بصينية المشروبات بالوقت ، وقصدت الهروب مع فيليب قبل وصول عمه . كنت معطية ظهري للباب : وكانت لفظة رأس فيليب السريعة هي التي أنبأتني بأنني قد تأخرت . وقال صوت ليون دى فالى الجميل :

— آه ، فيليب . لا ، لا تتحرك . كارلو ! أهلا ، أهلا ! ما الذي جاء بك الى جنيف ؟

وتحرك الكرسي في سكون الى الامام .

— جئت وراء الخامات من أجل مجموعتي التالية .

فسالت الدام :

— وكيف تسير المجموعة ؟

- لقد بدأت لتوها • أوه ، على فكرة ، هناك كتلة
من الضباب جاسمة على الطريق بين شونون وهنا •
كان ليون دى فالى مشغولا فى صينية المشروبات
وناول زوجته كوبا ، وقال :

- حقا ؟ هذا شىء سيء !

- فى بعض الأماكن • لكن اعتقد انها محلية فقط •
آه ، شكرا •

وانفتح الباب ودخلت سيدون وقالت :

- مدام ، رسالة تليفونية جاءت لتوها من مسيو
راؤل •

فرايتها تحلق فى زوجها وهى تقول :

- نعم ياسيدون ؟

- سألنى أن أخبرك أنه فى طريقه الى هنا يامدام •

فوضع ليون دى فالى كوبه جانبا فجأة وقال :

- فى طريقه ؟ هنا ؟ متى ؟ من أين كان يتكلم ؟

- لم أستطع أن أعرف ياسيدى • لكنه لم يكن فى
بلفين • قال أنه سيكون هنا خلال الليلة •

ثم قال فلوريمون :

— ظريف ! آمل أن يكون هنا على العشاء ؟

فقالت سيدون :

— لا يامسيو . قال أنه سيقاخر عن العشاء
لكنه سيكون هنا الليلة .

فقالت مدام دي فالمر :

— هل بدا من كلامه بأن هناك أى شيء خطأ ..
في بلجين ؟

— لا يامدام على الإطلاق .

فقال فلوريمون :

— لا تقلقى هكذا ياعزيزتى ، من المحتمل أنه يهرب
من العاصفة السمجة التى حلت بهم هناك .

فقال ليون بجفاء :

— انه عادة لا يهرب في هذا الاتجاه .

فرايت المدام تحملق ثانية في زوجها ، وكان وجهها
قلقا وشاحبا ..

وبعد أن دخل فيليب في سريره ، تعشيت بمفردي في
حجرتي . كانت البرتين ، خادمة مدام دي فالمي عابسة
الوجه ، هي التي أحضرت العشاء لي . . . ووضعت
الصحن على المائدة في صمت غاضب . فقلت بابتهاج :

- شكرا يا البرتين ، أوه ، وعلى فكرة ، هل يمكن
أن تتذكري إذا كنت قد أحضرت دواء مسز سـيـدون
الأسبوع الماضي أم لا ؟

فقلت البرتين :

- لا . .

واستدارت للذهاب .

- هل تقصدين أني لم أحضر الدواء أم أنك لا
تذكرين ؟

- أقصد لا أدري . .

ونظرت لي بعينيها السوداوين بشيء من الكراهية،
وأضافت قائلة :

- لماذا لا تسألها بنفسك ؟

فقلت ببرود :

— حسن ، سافعل .

وبعد قليل عندما جاء طرق الباب ودخلت مسرر
سيدون ، قلت لها :

— هذه المرأة البرتين .. ماذا بها ؟ أنها ودودة
كالشعبان .

— أوه ، لقد تضايقت لأنى طلبت منها أن تحضر
لك العشاء ، طالما أن بيرث منهمكة فى اعداد حجرة لحنتر
راؤل . أنها فى حموضة اللبن الفاسد خصوصا لو طلبت
منها أن تفعل أى شىء خارج حجرات المدام الخاصة .
واعتقادى أنها تشعر بالفيرة حتى اذا ابتسمت المدام
لأى أحد غيرها .

فضحكت ، وسألتها :

— كيف حال الربو ؟ مع الأسف لم يعطنى الصيدلى
دواءك اليوم . قال أنى أخذته الأسبوع الماضى . هل
تذكرين يامسر سيدون ؟ هل أعطيته لك ؟

— حسن ، لا أستطيع أن أتذكر حقيقة ، طالما أنى لم
أحتاج له حتى الآن . سوف ألقى نظرة فى حجرتى .
— هل مسيو فلوريمون سيمضى الليلة هنا ؟

- انها جاء للعشاء فقط ، ولكنه قد يبقى الليلة
إذا ازداد الضباب .

فنهضت وذهبت عند نوافذ الشرفة .

- أنا لا أرى أى ضباب . انها تبدو ليلة صافية !

- أوه . اننا مرتفعون هنا . ولكن الطرق تسير
بمحاذاة النهر ، ولقد وقعت حوادث في الوادى بسبب
الضباب .

- ربما مسيو راؤل لن يأتى الليلة .

- سوف يأتى . إذا قال أنه قادم ، فسيأتى .

وتوقفت برهة ثم أضافت مستفسرة :

- هل هم .. قالوا أى شيء تحت ؟

- لا شيء . انهم تساءلوا عن السبب في حضوره ،
هذا كل شيء ..

- لاداعى للسؤال . شيء واحد يجعله يظل هذا
المكان ، وهو النقود . فكل مرة يأتى فيها تنشأ مشكلة ،
لأن مستر راؤل يريد المال من أجل بلقين والسيد يريده
من أجل عالمي .

قلت :

- لابد ان مستر راؤل مالك حريص .
- آوه ، انه يعقنى ببلفين ويرعاها بشكل طيب . .
- انه مثل أبيه ، كما تعرفين . ولكنهم يقولون انه يعيش حياته بالطول وبالعرض . هناك بعض الحكايات .

قلت :

- لا يمكنك ان تصدقى كل شىء تسمعيه .
- فقلت مسر سيدون بأسف :

- لا ، طيبا . . هذا صحيح . وخصوصا عندما يكون عن مستر راؤل ، لأنه رجل من النوع الذى يجعل الناس تتكلم عنه . ولكن من أين يحصل على المال ؟ من أين حصل على تلك السيارة الكبيرة العظيمة التى كان ينودها المرة الماضية عندما كان هنا ؟

فقلت بهدوء :

- حسن ، من أين ؟

- آه ، لك أن تسألى من أين . . لقد سمعت السيد يسأله عن ذلك ، ولم يخبره مستر راؤل . قال فقط شيئا عن ليلة محفوظة ورقم محفوظ .

فضحكت قائلة :

• — انها توحى كما لو انه كسبها في الكازينو .

فبدت كأنها صدمت بعض الشيء ، وقالت :

• — حسن يا آنسة ! أنا لا أدري ماذا كانت الآنسة
ديبى قد تقول ! فغالبا ما أتساءل ..

فقلت بسرعة :

• — آه ، انه موعد شراب الشيكولاته لفيليب .

فلقد سمعت قصص مافيه الكفاية عن الآنسة ديبى
.. وتبعثنى مسز سيدون الى المطبخ الصغير ، وهى
تقول :

• — هل تذكرت بيرث الحليب ؟ آه ، نعم .. هاهو
قولى لى يا آنسة ، هل تجددين أن بيرث تقوم بعملها
جيذا ؟

• — أوه نعم ، انها تحافظ على نظافة الحجرات .

فمرت مسز سيدون بأصبعها فوق الرف التى يحمل
علب الكاكاو والقهوة والشاي والسكر ، وبدأ عليها
الرضا .

— نعم ، ان بيرث فتاة طيبة ، لو انها حافظت على عقلها في عملها ، بدلا من الركض وراء برنارد هذا .. السكر هنا ، يا آنسة !

— لا ، ليس هذا . انا استخدم السكر الخاص بفيليب ، كما تذكرين .. هذه هي علبته الخاصة ، العلبه الزرقاء . هل تقصدين ان هناك شيئا ما بين بيرث وبرنارد ؟ أمل الا يكون هذا بشكل جدى .. انه اكبر في السن .. انه يكبرها بكثير ، وبجانب ..

— نعم يا آنسة ، شيء مؤسف حقا . هذا الوجه الاغبر لشخص غبى وفتاة صغيرة جميلة مثل بيرث ! ولكن هذه هي الدنيا ، وهذه هي طبيعة البشر ! والآن لا بد لي ان اذهب . حقا لقد استمتعت بحديثنا يا آنسة .. كلانا سيدون وانا نعتقد ان فيليب افضل بكثير بسبب وجودك هنا . انه يحبك ، هذا واضح للعيان . ان ما يحتاج اليه هو انسان ما يغرم به ويحبه .

فقلت بهدوء وكانى احدث نفسى :

— السننا كلنا نحبه ؟

— كانت مربيته سيدة لطيفة جدا ، ولكنها كانت

تعامله على أنه طفل صغير • انك تقومين بمهمة عظيمة معه ، يا أنسة •

– اشكرك يامسز سيدون •

واضفت :

– على الأقل فيليب سيفرح عند قدوم مسيو راؤل •

فحملت في وقالت :

– انه لا يكاديعرفه ، يا أنسة !

– ولكن عندما سمع السيارة قادمة عند المنعطفات هذا المساء بمسيو فلوريمون ، اندفع فيليب راكضاً وخرج الى الشرفة • فهل هناك شخص آخر يتطلع الى رؤياه ؟

وامتلات عيناها فجأة بالدموع •

– طفل مسكين ، يتيم كسير القلب !

وبعينا مسحت عينيها قالت :

– انه لم ير موت والديه مطلقا ، بالطبع • كانا سيمودان في سيارتهما من المطار ، تعرفين ، وكان

ينتظرهما هنا .. ولم يأتيا أبدا .. ان اعتلدى أنه
لا يزال منتظرا .

- هذا فظيع .

ويلعت ريقى وكررت :

- هذا .. فظيع ..

- نعم ، فى كل مرة تأتى سيارة إلينا فى المساء ،
يندفع إلى الخارج . ومن الخطر أنه لا توجد سيارات
كثيرة ! ودائما أخشى عليه أن يعيل بجسمه أكثر
من اللازم ، وينتهى به الحال فوق تلك القضبان
الحديدية المدببة السفلية .

فسرى فى شعور بارد ، وقلت :

- سوف أراقبه !

الفصل السابع

كان فيليب مستغرقا في النوم ، ويبدو صغيرا بشكل غير عادي تحت اغطية السرير . . . وخرجت بهدوء ، اخذة مشروب الشيكولاته الذي لم يرغب في تناوله الى المطبخ .

وعدت الى حجرتي ، وصرت مباشرة الى الشرفة . كانت الليلة معتدلة الطقس ، ورطوبة الربيع معلقة في الهواء . فشعرت بالتعب وبالاحباط . لقد حدثت أشياء كثيرة اليوم ، ومن أحلامها . . لقاء الصباح مع وليم بليك ، وحديثي المتع مع فلوريمون . . لقد خبت الكلمات واختفت الذكرى من عقلي وتركتني مع هذا الشعور

الضحل القافه الغريب • انى اعرف كنه ذلك بالطبع •
فلقد عشت مع الوحدة لفترة طويلة •

وسالت نفسى بحدة ، ماذا أريد ؟ هل أريد أن
أكون حيث مدام دى فالى ، فى حجرة جلوس متلائة
الاضواء ، مستمتعة بالأحاديث العصرية المتعدية ؟
أين كنت سأكون أنا الآن ، اذا لم يحدث الأمر الذى حدث
من سبع سنوات مضت ؟

حسن ، انى أطلب المستحيل • ولابد أن أرضى
بالواقع !

وسمرت بطول الشرفة حتى وقفت فوق الحجرة
الجلوس • كان الضوء يسقط بنعومة من النوافذ الطويلة
على الساحة الامامية ، عبر الستائر الذهبية • وكانت
أحدى النوافذ قد تركت مفتوحة لليل اللطيف ، ومنها
يتسلل شعاع قوى من الضوء يصاحبه صوت الحديث
والضحك • فاستدردت مسرعة ، وعدت الى حجرتى
وارتديت معطفى • وخرجت للتريش •

أخذت أهبط المنعطفات ببطء فى ضوء القمر الخافت •
كان هناك طريق هابط يتخلل الغابة نفسها • مدق
منحدر وكان أقصر من المنعطفات ، ولكن من المتوقع أن

يكون مظلما جدا تحت الأشجار ، ولذلك التزمت بالسير
في الطريق .

كان الهواء ساكنا تماما . ومن تحتى ، فى الوادى ،
كنت أستطيع رؤية الضباب الشاحب . وكانت هناك
رائحة نفاذة قوية للزرع والتربة المبتلة ، رائحة الربيع !
وسمعت ضجة مفاجئة فى أوراق الشجر الجافة
وتذكرت أن هناك خنازير برية فى بعض أجزاء فرنسا .
وضحكت على سخافة تفكيرى ومشيت بثبات هابطة
الطريق . ووصلت أخيرا الى الجسر .

يحف النهر حدود أرض فالى ، ويحفها من الجانب
الآخر البعيد الطريق الرئيسى . كان الضباب كثيفا
على جانب فالى من الجسر ، ولكنى نفذت منه ، ووقفت
فى نهاية الجسر محمقة فى المنحدر الشديد لغابة ديودونى
على الجانب الآخر من الطريق الرئيسى . وبدت الغابة ،
فى ضوء القمر الخافت ، مثل سحابة مظلمة معلقة فوقى .

وكانت هناك سيارة قادمة صاعدة الوادى . لا ،
انها لورى . . . وسمعت صوت المحرك يعلو ويخفت مرة
تلو الأخرى ، أثناء انعطاف اللورى حول المنحنيات . . .
واقترب من نهاية الجسر واستمر فى صعود الطريق
الرئيسى .

كنت استدير عائدة لأصعد المنعطفات ، عندما شد انتباهي ضوء صغير جدا ظهر بين أشجار ديودوني ،
حتلا كنا عبر سحب الصنوبر مثل نجمة صفراء صغيرة .
فتوقفت وتطلعت نحو هذا النور . . وتصاعد زئير
لورى آخر قادما من الوادى ، ومن فوقه يتعلق الضوء
الصغير مشعا وثابتا . لا ، ليس بنجم . . أنه كوخ
الغابة الصغير الخاص بوليم بليك ، فابتسمت لنفسى ،
وتصورته جالسا مع مشروعاته .

وارعد اللورى الثانى مارا بنهاية الجسر . ولم
الحظ السيارة المندفعة بهدوء من خلف اللورى الكبير .
ولم أرها حتى استدارت بحدة الى الجسر الضيق وجاءت
نحوى مباشرة .

كانت زاوية سهلة ، قطعها مسرعا . والمحنة وقعت
أسيرة فى شعاع الأضواء الأمامية ، وسمعت صرخة
الغرامل ، فقفزت لاجئة لحافة الطريق . . وانزلت قدمى
على السطح المبتل فسقطت متعددة تحت حائط الجسر ،
وذلك أثناء مرور السيارة على بعد نصف متر من وجهى
.. بعد أن وقفت وقفة عنيفة خلف الجسر مباشرة .

وانفتح باب السيارة واقفل ، وقال صوت ليون دى
غالى :

- أين أنت ؟ ألم المسك ، اليس كذلك ؟

وعند سماعي لهذا الصوت المألوف ظننت اني قد صدمت وأصيبت بلوثة .. وجررت نفسي ، متعلقة بالحائط ، ووقفت على قدمي وفرائصي ترتعد !

لم أجن على أية حال .. ولم يكن الرجل القادم نحوي ليون دي فالى .

كان راؤل دي فالى ، مثل أخيه ، حلو المحيا بشكل فوق العادة ، لكن وجهه لم يكن عليه علامات السن والمرض . كان يبدو قويا ، فخورا ، و .. في هذه اللحظة .. حائقا جدا .

جلست فجأة على الحائط وانتظرت . ووقف قبالي تماما ، طويلا شامخا في ضوء القمر ، وقال بعدة :

- هل أصيبت ؟ هل صدمتك ؟

- لا !

- ولا حتى لامستك ؟

- لا .. لا !

وكانت يداي ترتعشان .

سمعته يتنفس في ارتياح سريع • واشتعل صوته
غضبياً :

— انن بحق الجحيم ماذا كنت تفعلين ، واقفة في
وسط الطريق في الضباب ؟ كنت على وشك الموت ..
وإذا حدث ، لكنت تستحقين ذلك !

لم اكن معتادة على ان يتكلم احد معي بمثل هذه
الحدة ، فرفعت رأسي بغضب قائلة :

— انه ليس طريفاً عمومياً ولدى كل حق لأقف في
وسطه ، أو اجلس أو ارقد حتى في وسطه اذا اردت !

على أية حال كان لا يجب عليك أن تسير عند منحنى
بمثل هذه السرعة !

— أنا اعرف الطريق مثل ظهر يدي ، وأنا اعرف
امكانية هذه السيارة •

وبما يغير من لبرته الغاضبة الى قبرة من يريد ان
يتصلى :

— لم اتوقع ان اجد احدا واقفا على الجسر في هذا
الوقت من الليل ! ربما ستخبريني الآن لماذا تعتبرين
لك كل الحق في الوقوف .. أو كما قلت حتى الرقاد ؟

.. في وسط هذا الطريق بالذات ؟ هذه هي .. هذه هي
عزبة فالى ، كما تعرفين ..

كنت منهمكة في مسح يدي الموحلتين بمنديل ،
وقلت :

– نعم ، انى اقطن هنا .

فأصبر صوتا يعبر عن الاندهاش :

– بالتأكيد أنت لست واحدة من الـ ٠٠٠٠ ؟

فقلت :

– الخدم ؟ تقريبا . انا مربية فيليب !

فقال راؤل دى لى هالى ببطء :

– لكنهم قالوا لى انها فتاة انجليزية .

شعرت كأنه قد أعطانى ضربة حادة في المعدة ..

ولأول مرة أدركت أنني قد تكلمت باللغة الفرنسية ..

لقد أجبت ، بدون تفكير ، باللغة التى استخدمها . فقلت

بضعف :

– أنا ... نسيت !

فقال باندعاش عظيم :

— هل انت انجليزية ١٩

فاومات :

— ليندا مارتن ، من لندن . لقد صار لى هنا ثلاثة اسابيع . .

فاصبح صوته جافا قليلا وقال :

— اذن اسمح لى ان اهنك على تقدمك فى اللغة الفرنسية يا آنسة مارتن .

لقد هزنتى فعلا هذه الصدمة الثانية . وكانت النبوة الجافة فى صوته ، تشبه تماما نبرات صوت ليون دى فالى ، لذا لم استطع الامتناع عن اجابة حانقة فقلت :

— يجب ان تعرف جيدا تماما اننى لم اتعلم كل لغتى الفرنسية فى الاسابيع الثلاثة الماضية . . لذلك لا تضايقنى كما اسقطتنى !

لم يكن هذا صحيحا بكل وضوح وتوقعت منه ان يصيح فى ، واكنه قال فقط :

— انا آسف ، لابد أنك صدمت صدمة سخيفة . سوف اخذك الى السيارة ، وسوف اوصلك الى المنزل .

وعندما وقفت على قدمي وضع يده تحت ذراعي ،
وقال بسرعة :

– انك لا تسيرين بشكل سليم .. يبدو انك أصبت !

– ليس منك .. لقد انزلت قدمي وسقطت عندما
حاولت القفز خارج الطريق . انها مجرد ركبة
مخدوشة . حقيقي ، هذا كل ما في الامر .

فقال وهو يبدو قلقا :

– حسن ، من الأفضل توصيلك للقصر . هل
تستطيعين الدخول في السيارة ؟ أخشى أن يكون هذا
صعبا بعض الشيء !

لقد اصطدمت سيارته الكبيرة – لكي تتفاداني –
بجانب الطريق ، وكان أمامه مباشرة حائط من الصخور
.. فتطلعت اليه باحساس بالذنب وقلت :

– أنا .. انها لم تصب بضرر ، اليس كذلك ؟

– لا اعتقد ذلك .

وفتح الباب وتمكنت من الدخول . وذهب ليفحص
خلفية السيارة ، وجلست مضطجعة في المقعد المريح ،
مستمتعة بالرائحة الخافتة للجلد الثمين . وفكرت بأنها

كانت مستصحب غلطتى اذا صدمت سيارة مسيو راؤل
- الكاديلاك الغالية - هذا الحادث الصغرى !

ودخل وجلس بجانبى ، فقلت بصوت منخفض :
- مسيو دى فالى .. قبل ان تعيدنى احب أن
أعتذر ..

- تعتذرين ؟ ولماذا ؟

- لقد انقذت حياتى بقيادتك الحسنة .. وبعدها
كنت فظة معك ! أشعر بالأسف .. انها كانت غلطتى !
واذا كنت قد أتلفت سيارتك ، فسوف أرفع ثمن ذلك من
راتبى !

فأخذ يضحك على ثائبة :

- شكرا .. ولكنها لم تصب بسوء ، ولا خدش .. اذا
كان لأحد أن يعتذر ، فهو أنا .. أعتقد أنى كنت جافا فى
حديثى .. أنا أسف ..

فقلت بشكل مرتبك قليلا :

- حصل خير !

لم يقل شيئا .. وبدا كما لو كان ينتظر شيئا .. ولم

يتحرك لتشغيل السيارة .. ولاحظت أنه كان يراقبني
بثبات ، وزالت الفكاهة من على وجهه ، فقلت :

- لقد بوغت أنا نفسي بشكل جعلني أبوح بسر
لك .

- عندما تكلمت معي باللغة الفرنسية ؟ أه ! وهكذا
كنت أنا على صواب ؟

- أنهم لا يعرفون أن نصفى فرنسى ؟ نعم ..
فقال :

- أنا لست مستخدمك ، تعرفين ، لا حاجة لك أن
تشرحي لى . لكنى مجرد فضولى بعض الشيء . هل
أفهم أنك خدعت أبى وهيلواز عن عمد ؟

- أنا .. أنا أخشى أنه كذلك .

- لماذا ؟

- لأنى أردت الوظيفة .

- ولكن لازلت لا أفهم لماذا ..

فضغطت يدي سويًا وقلت بحرص :

- كنت في حاجة للوظيفة . سأحاول أن أقول لك
لماذا ، بالرغم من أني لا افترض أنك ستفهم . . .

وبدا كما لو كان ينوي أن يقول شيئا ، ولكنني واصلت
الحديث وقلت بسرعة :

- أنا جزء منى فرنسي ، ولقد نشأت في باريس .
وعندما كنت في الثالثة عشرة من عمري قتل أبى وأمى
في حادث طائرة . . كان أبى يكتب فيلما يجرى تصويره
في البندقية ، وذهبت أمى معه للاستجمام . . أوه ،
التفاصيل لا تهتم . . انتهى بى الحال في ملجأ أيتام بلندن
. . لا أدري . . هل حدث ودخلت أحد الملجأ ؟

- لا !

- حسن ، فالتفاصيل لا تهتم هنا أيضا . . لقد كانوا
رحماء معى جدا . لكننى أردت . . أوه ، أن أعيش ، أن
أجد مكانا في العالم يخصنى ، وكنت أبدو أنى أمام طريق
مسدود . . حصلت على وظيفة في مدرسة بنين لتدريس
اللغة الفرنسية ، ولم أكن سعيدة هناك ، أيضا . . وعندما
أخبرونى أن مدام دى فالى تريد مربية انجليزية ، بدا لى
ذلك كهدية من السماء . وفكرت أنه سيكون شيئا رائعا
أن أعيش في فرنسا وفي بيت حقيقى ثانية . .

فقال بشكل جاف :

– وهكذا اتيت الى فالى ..

– نعم ، هذا كل شيء .

ومرت فترة صمت قال بعدها :

– اعتقد انى افهم ذلك . لكن لا حاجة بشرح كل هذا لى ، تعرفين ، ليس لى اى حق فى استجوابك .

فقلت بخجل :

– شعرت انى مدينة لك بشيء . واذت سالتنى لماذا خدعت مدام دى فالى واباك .

– لا ، انك اسأت فهمى . كان المفروض ان أقول ، لماذا ستخدعينهما . هل تحاولين ان تخبرينى انك اخفيت حقيقة انك فرنسية الى حد ما ، لأن ذلك قد يفقدك الوظيفة ؟

– انا .. نعم الى حد ما ..

ومرت فترة صمت ، قلت بعدها :

– شعرت فعلا أنه من المهم الا أبدو انى أستطيع التحدث باللغة الفرنسية ، لأننى سأحدث مع فيليب باللغة

الانجليزية كل الوقت .. وعندما بدأت بالنظر اهر فلم
استطع الاعتراف بعد ذلك .

فقال :

- افهم انهما مازالا لا يعرفان .

- نعم .

- حسن ، لا تقلقى بخصوص ذلك . ان هذا
الموضوع ليس له أهمية بأى شكل من الاشكال .
وبدا تشغيل المحرك .

- وانا لم اقصد ان اسالك أسئلة كثيرة ! ان هذا
ليس من مهنتى .

فقلت فى صوت منخفض :

- مسيو .. اتساءل اذا كنت سوف .. اقصد ..

- تسالين اذا كنت ساحتفظ بسرك ؟

فاضفت وانا اشعر بشيء من الضالة :

- نعم . أرجوك !

فقال راؤل دى فالى ببطء :

— حسن جدا • لن أقول • والآن اعتقد من الأفضل
أن نذهب •

وتحركت السيارة للأمام • وأخذ يقود في صمت وكان
لدى وقت للتفكير • لماذا كان على أن أبوح بقصتي لراؤل
هـي فالى ؟ ماذا تهمة ؟ وماذا سيفكر في ؟ وجززت على
شفتي • حسن ، من المحتمل أنه لم ينصت جيدا ، وكانت
أعني أمور أهم يفكر فيها ، ففكرت :

— مسيو فلوريمون هنا الليلة !

— أوه ؟ هل يبقى طويلا ؟

— اعتقد أنه جاء للعشاء ، ولكن إذا ازداد الضباب
فأعتقد أنه سيقضي الليلة هنا •

فقال راؤل :

— آه ، جميل • هذا أمر آخر يمكنني أن أشكر
الضباب لأجله !

وأخذت اتساءل ماذا يقصد « بأمر آخر » ، عندما
تأرجحت الكاديلاك فوق المساحة الأمامية ..

الفصل الثامن

كان سيدون يعبر البهو عندما دخلنا . فالتفت عندما
راى راؤل ، ثم وقعت عينه على ، فقال :

— مستر راؤل ! أنسة مارتن ! هل حدث حادث ؟

— كدت أصدم الأنسة مارتن فوق جسر فالى ..
اقترح أن تحضر لها بعض البراندى الآن ، و ..
فقلت بسرعة :

— لا ، من فضلك انا لا أريد أى براندى . انى
ذاهبة لأخذ حماما ، ثم أعمل لنفسى فنجانا من الشاي
.. حقيقى انا لا أريد شيئا .

— حسن يا أنسة ، اذا كنت متأكدة من ذلك •

ثم نظر الى راؤل الذى قال :

— سأخذ حاجياتك الى اعلى ياسيدى !

— شكرا لك • كيف حالك ياسيدون ؟ وكيف حال
حسن سيدون ؟ هل زالت أزمة الربو ؟

— نعم ، أشكرك ياسيدى ، كلانا بخير • سأخبر
الدام بأنك وصلت •• !

وعند استدارتى للذهاب ، قال راؤل :

— لقد مزقت ثوبك •

فنظرت الى اسفل ، وكان معطفى مفتوحا ، فظهر
قطع فى نهاية ثوبى • وقال آسفا :

— لا بد أن مقدمة السيارة قد أمسكت بك • انا فى
الحقيقة بالغ ••

— راؤل ١٩

جاء الصوت من خلفى •• فقفزت مذعورة • لا بد
أن راؤل قد اعتاد على طرق أبيه فى الدخول المباغت ،
لأنه لم يقل أكثر من :

— كيف حالك ياسيدى ؟

ومد يده ..

وتحولت عينا ليون دى فالى الساطعتين نحوى وقال
متسائلا :

— ما هذا ؟ هل سمعت شيئا عن سيارة أمسكت بك ؟
فقال راؤل ، متقسما :

— آنسة مارتن وأنا ، التقينا .. بشكل مفاجيء ..
تحت .. عند جسر فالى ..

ونزلت عينا ابيه الى ثوبى الممزق والى ساقى
الملطخة بالدم والوحل .

— هل تعنى انك صدمتها ؟

فقات بسرعة :

— اوه لا . لقد سقطت وجرحت ركبتى . هذا كل
ما فى الامر .. ومسيو راؤل لم يمسنى .

— هذا الجرح لم يكن سببه السقوط . فهذا الثوب
قد مزقه شيء حاد هل هذا هو فعل سيارتك العظيمة
ياراؤل ؟

وظهر في صوته حذق حاد مفاجيء . وتذكرت للحظة الطريقة التي تحدث بها لفيليب ، بجانب الكرسي الأصفر ولكن هذا لم يكن فيليب ، انه راؤل . فقال بهدوء :
- اتخيل ذلك . أنعمة مارتن ، انا في الحقيقة بالغم
الأسف ..

- أوه من فضلك ، هذا لا شيء بالمرة . انها غلطتى
انا !

فقال مسيو دى فالى :

- ماذا كنت تفعلين تحت عند الجسر في هذا الوقت
من الليل ؟

- ذهبت للتريض . وتوقفت في منتصف الجسر .
كان شيئاً سخيلاً أن أفعل ذلك بسبب كثافة الضباب ،
ومسيو راؤل كان يقود سيارته فيه . ولقد نسيت أنه
قادم .

- نسيت ؟

وفجأة تذكرت أن المحادثة عن راؤل كانت باللغة
الفرنسية .

فقلت في ثبات :

— مسز سيدون اخبرتني انه قائم .

— آه ، نعم .

كانت العينان الداكنتان لا تفصحان بما فيهما من
معان :

— ثم ماذا ؟

— وهكذا بالطبع لم يرني مستر راؤل حتى صار
بجانبى تقريبا . انا لا ادري كيف استطاع ان يتفادانى !
وكان صوته حادا من الحلق ثانية حين قال :

— انها زاوية خطيرة جدا ، راؤل ، لابد انك كنت
تقود السيارة باهمال مذهل !

لم يكن له الحق للتحديث الى ابنه بهذا الشكل ،
وامامى ، ايضا ! وفتحت فمى لأتكلم .

ولكن راؤل كان يبتسم في سرور حين قال :

— تم توسيع الطريق عند تلك الزاوية الخريف
الماضى . من مال بلفين . تذكر ان تلك الطرق

والسيارات قد تغيرت كثيرا جدا منذ كنت قادرا على القيادة .

وفي الصمت الوجيز الذي تبع ذلك رأيت التجاعيد حول فم دى فالى تزداد عمقا . . واليدين البيضاوين تنقبضان باحكام حول ذراعى الكرسي . ولم يقل شيئا . وابتسم راؤل بتكاسل وهو ينظر له من أعلى الى أسفل . . لا ، هذا ليس فيليب حتى يكلمه بشدة .

وذهبت مسرعة الى الطابق العلوى .

وفي اليوم التالى انقشع الضباب وولت آثاره ، وكانت الأشجار تتحرك بخفة في ريح الربيع الصافية . . في ذلك اليوم بدانا جولتنا المحيطة ، عبر الغابات التى تمتد في اتجاه الشمال الى أسفل الوادى . وهبطنا الممر المنحدر الى الجسر .

كان يوما ساطعا وباردا في الوقت نفسه ، وكان فيليب يرتدى قلنسوته الصوفية الحمراء ، وبدا مبتهجا بشكل غير عادى .

وبينما كنا نتجه الى الممر المنبسط الواسع الذى يؤدى الى الطريق الملاصق لجانب القل ، قلت له :

— دعنا نزل الى الغابة الكبيرة ثانية !

كانت الأشجار هنا عتيقة ومبتاعدة ، فقال فيليب :
وهو يقفز ويرقص بجاذبي :

— دعينا نبحث عن الدببة !

— دببة ؟ هل توجد هنا دببة ؟ • لا ، لا توجد دببة
في فرنسا الآن ! خنازير برية ربما ..

— حسن ، برنارد يقول بأن هناك دببة في هذه
الغابات • أخبرني أنه أصاب واحدة بالرصاص ! هل
تعتقدين يا مدمرازيل ، أنني عندما أصبح في العاشرة من
عمرى أستطيع أن أحصل على بندقية ؟

— عندما تكبر ، ممكن !

— هل عندما يصبح عمرى عشرة سنوات أصبح
كبيرا ؟

— ممكن ، لكن جسمك ليس كبيرا جدا • ليس كبيرا
بما فيه الكفاية لإطلاق الرصاص على الدببة •

— أرايب اذن • سأحصل على بندقية وأطلقها على
الأرايب !

وأخذ يرقص أمامي ويغنى أغنية صغيرة :
« أطلق الرصاص على الأرايب ،

اطلق الرصاص على الدب ،

بانج ، بانج ، بانج !

هिला ، هिला ، هوب •

فقلت :

— انتبه الى أين أنت ذاهب ! والا سوف •••

عندئذ حدثت ثلاثة أمور ، تقريبا في نفس اللحظة •

فيليب التوت قدمه في جذر شجرة وسقط متعمدا على الأرض •• شيء ما ضرب الشجرة بجانبه وأصدر صوتا عاليا وطلقة بندقية حادة مزقت السكون في الغابات •

في البداية لم أستوعب ما قد حدث • طرقة البندقية، وجسد الصبي ممددا على أرض الممر •• وللحظة شعرت كأنى أصبت بسكتة قلبية ، وتحرك الرعب في دمي كالآلم • وعندما تحرك ، أدركت أن جزع الشجرة هو الذى أصيب •

وصرخت في الغابات الساكنة التى ترتفع متدرجة من فوقنا :

— لا تطلق الرصاص يا أحمق ! يوجد أناس هنا !

ثم وقفت بجانب فيليب وانحنيت فوقه ، لأتأكد من
أن الرصاصة لم تلمسه ، ولكنى عندما رأيت الثقب في
الشجرة من فوقه تماما ، أدركت كم كان قريبا ليكون
هو المقصود . والأغنية السخيفة الصغيرة التى جعلته
يصطط قد أنقذت حياته ..

ورفع رأسه ، وذهب كل المرح والبهجة من وجهة
الملطخ بالوحل على أحد جانبيه ، وقال :
- انها كانت بندقية ! شيء ما ضرب الشجرة ا
رصاصا !

كان يتكلم بالطبع ، باللغة الفرنسية ، واجبته بنفس
اللغة على أية حال فقد سمعنى لتوه وأنا أصبح باللغة
الفرنسية على صاحب البندقية .

- شخص أحقق سخيف خرج ببندقيته وراء خنزير
برى . حصل خير يا فيليب ، حصل خير !

واخذت بيده حتى وقف على قدميه ، وقالت :

- اظن انه اعتقد أنك خنزير ..

كان فيليب يرتعد من الغضب ومن الخوف فى نفس
الوقت . وقال :

- الخنازير لا تغنى ! انه أحرق أوم جنون ! سوف
أفصله من عمله !

وكننت منتظرة قدوم صياد خائف ليرى ما قد فعله
ويعتذر . ولكن مع مرور الوقت ، أدركت أن الغابة تبدو
خاوية . وأيا كان من أطلق العيار الناري ، فلن يعترف
بأعماله . .

وتطلعت من حولى ، كانت على يسارنا مساحة
فضاء مكشوفة ، ترتفع الأرض فيها بلطف الى أعلى
لحوالى مائة ياردة . وتوجد عند القمة صنخور وأشجار
كثيفة . ربما الرصاصة قد أطلقت من هناك . فقلت :
- انتظر هنا . سأذهب لأرى . .

- لا !

وأمسك بيدي وقبض عليها بإحكام . وأرخيت بصرى
الى أسفل على الوجه الساحب الصغير تحت القلنسوة
الحمراء . . كانت الدموع تترقرق في عينيه ، فقلت :

- حسنا ، سنذهب الى البيت !

وعندما صعدنا الممر رأينا مدام دى فالى في الحديقة
الامامية . . كانت تقطف الزهور . وكان وجهها في

اتجاهنا ، فرأيتنا عندما خرجنا من الغابات ٠٠ لابد أنها
رأت الوحل على ملابس فيليب حيث ظهرت نظرة رعب في
وجهها .

- فيليب ! ماذا حدث بحق السماء ؟!

كنت مقطوعة النفس من التسلق ومازلت حائقة ،
فقلت :

- شخص ما أطلق النار على فيليب في الغابة تحت
هناك ٠٠ !

كانت شاحبة جدا وهي تقول :

- أطلق النار ٠٠ على فيليب ؟!

- نعم ٠٠ لقد أخطأه فقط لأنه سقط . والرصاص
ضربت الشجرة !

- ولكن ٠٠ هذا جنون ! هل يستطيع أحد أن يفعل
ذلك ٠٠ هل رأيت من هو ؟

- لا ، لم أر أحدا . ولكنني أتصور أن مسيو دي
فالتي يستطيع اكتشاف من الذي كان في الغابات في هذا
الوقت . أين مسيو دي فالتي يا مدام ؟

- في المكتبة .

كانت تضع إحدى يديها على قلبها ، ومن يدها الأخرى وقعت الزهور التي كانت قد جمعتها على الأرض ، دون أن تلاحظ . وقلت :

- إذن سأنهض وأراه بعدما آخذ فيليب إلى الداخل .

- نعم ، نعم ، بالطبع . مسيو دي فالى سيتضايق بشكل مزعج . . . بشكل مزعج !
فقلت :

- أمل أن يفعل شيئا أكثر من ذلك !

وعندما دخلنا التفت خلفي فرأيتها تركض مسرعة ، لتخبر مسيو دي فالى بنفسها . . . حسنا ، فكلما عرف مبكرا كان أفضل .

أخذت فيليب وصعدت به إلى بر الأمان في حجرة الدراسة . وبقيت معه إلى أن أخذ حمامه ، وبعد ذلك تركت بيرث معه ونزلت لأرى عمه . .

الفصل التاسع

كان ليون دى فالى بمفرده فى المكتبة • لم اكن قد دخلت هذه الحجرة من قبل • كانت حجرة عالية الجدران ، وارفف الكتب ترتفع من الأرض الى السقف • وفوق المدفأة تتعلق صورة ضخمة مرسومة بالوان الزيت لشاب يافع يقف بجانب حصان • ويبدو انها صورة لراؤول دى فالى عندما كان صغيرا وتعجبت لماذا يحتفظ بها ابوه هنا •

وبجوار المدفأة ، كان هناك كرسي بمساند وحيد • • وغير المكتب الكبير المجاور للنافذة ، لا تحتوى الحجرة على كثير من الاثاث • وادركت السبب عندما تحرك

كرسى ليون دى فالى عبر الحجرة الى هذه المساحة الخاوية . فالكرسى المتحرك يحتاج الى وفرة في المساحة . وبعد لحظة قال :

— تعالى واجلسى يا أنسة مارتن !

فاطعته . وتطلعت اليه فادركت . مع احساسى بالصدمة ، أن الصورة التى فوق المدفأة ليست لابنه بل لليون نفسه !

ولاحظنى عندما كنت أتاامل فى الصورة . فقال :

— يبدو أننا عائلة تعسة . نحن عائلة فالى !

فقلت :

— هل اخبرتك المدام ؟

— لقد جاءت مباشرة الى . . . لقد صدمت وتكدرت للغاية . ومع الأسف ، فقلبها ليس قويا . . .

ونظر الى وجهى وقال :

— أنت أيضا ، يا أنسة مارتن . اعتقد أن من الأفضل لك أن تشربى شيئا . بعض النبيذ ؟ . . . والآن ، اخبرينى ما الذى حدث من فضلك . . .

أخذت الكوب باملتان وقلت :

— شكرا .

وأعطيته موجزا قصيرا لما حدث ، فقال عندئذ :

— سنستطيع ان نكتشف من خرج ببندقية اليوم .
اليس كذلك ؟ يجب الا يسمح له بفعل ذلك مرة أخرى .

— أننى افعل ما فى وسعى .

ورمقنى بنظرة خاطفة وقال :

— عملى الفعلى اقوم به أساسا عن طريق التليفون
.. وعندما أكتشفه ، سوف يفصل من عمله ..

فقلت :

— هل خرج أحد لبيحث الأمر بنفسه ؟

— طبعا . لكن الذى أطلق النار سوف يحتاط ويخفى
آثاره . وليس من السهل الحصول على وظائف جيدة
فى هذه المنطقة !

— أستطيع ان أفهم لماذا هو خائف . فالموضوع قد
يصل الى الشرطة .

فارتفع الحاجبان الأسودان ، وقال :

– الشرطة ؟ اذا كان الحادث قد وقع بالفعل ، اجل .
ولكن طالما انه ..

– لا اعتقد انه حادث غير متعمد !

فببت عليه الدهشة ، وقال :

– الى ماذا تلمعين بحق السماء ؟

فلم اجب .. وتسائل مرة اخرى :

– ماذا ايضا ، يا آنسة مارتن ، ماذا ايضا ؟ جريمة
قتل ؟

كانت هناك نبرات احتقار وعدم تصديق في صوته ..
وشيء آخر : حنق ! .. واستطعت ان اشعر بالغضب
بفيض تجاهى ، مثل ريح ساخن .

ثم تلاشى ، وقال بصوت ناعم وبارد :

– انك متهيجة وثائرة بعض الشيء ، اليس كذلك ؟
من يريد ان يقتل طفلا ؟ وليس لفيليب اعداء .

فقلت في نفسى ، لا .. ولا اصدقاء ايضا ، فيما
عداى ! .. وقلت ببرود :

– لا ، اننى لم اقصد ذلك . ولكنى لا استطيع ان .

افهم كيف تكون حادثة غير مقصودة بالمرّة • فالمكان كان
مكتشوفاً ولا بد أنه كان يسمعوننا • وربما كانوا بعض
الفتيان يحاولون اخافتنا •

وسكتت لبرهة ، ثم قال :

— أين كنت بالضبط ؟

فشرحت ببعض التفاصيل ، ثم انتهيت الشرح بقولي :

— اعتقد أن الرصاصة كانت قادمة من الربوة التي
فوقنا • كنت أود أن أصعد لأرى ، ولكنني فضلت أن أحضر
فيليب إلى البيت مباشرة •

كان يراقبني بشيء من الفضول • وتساءل :

— هل كنت ستفعلين ذلك ؟

— طبعاً !

فقال ببطء :

— أنك فتاة شجاعة !

• — أين الشجاعة ؟ ولماذا أخاف من أحق ؟

فسطع وجهه بتلك الابتسامة الساحرة غير العادية ،
وقال :

— ان أية فتاة صغيرة قد تخاف الاقتراب من أحمر
مصلح ببندقية ! أعتقد انى أستطيع الآن ان أخمن ما حدث
.. شخص ما كان ممسكان ببندقية بلا مبالاة ، وانطلق
عيار نارى منها عفويا .. ورأى فيليب يسقط ، ففكر انه
قد أصابه وهكذا ولى هاربا !

— نعم ، بالطبع . هذا هو الموضوع كما يبدو .

فقال بعطف :

— يا طفلى المسكينة ، لقد مر بك يومان سيئان ،
اليس كذلك ؟ لكن لا تهتمى اطلاقا بهذا الامر .. هل تغلب
فيليب على خوفه ؟ الا يحتاج لطبيب ؟

— أوه لا ، انه على مايرام حاليا . لكنى وعدته أن
العب معه احدى الألعاب قبل الذهاب للنوم .

ووضعت كوى الفارغ جانبا ، وقلت بحرص :

— مسيو دى فالى . لدى اعتراف اقوله لك .. اننا
.. لقد خدعناك أنت والمدام ، ولم أعد أحتمل ذلك . لابد
ان أخبرك ..

فقال باستخفاف يبدو في عينيه :

— انى منصت .. كيف خدعتينا ؟

فقلت باللغة الفرنسية :

— هكذا خدعتكما يامسيو ، واعتقد انه حان الوقت
لأعترف بذلك .

ومرت برهة سكون قصيرة ، قال بعدها :

— فهمت ، انها ليست لغة فرنسية جيدة فقط ، بل
لغة فرنسا بذاتها . حسنا يا آنسة مارتن ، اخبريني بكل
شيء !

وانتهى الأمر .. اعترفت بتظاهري عديم الفائدة ،
ولم يحدث أى شيء سوى أن ليون دى فالى قد ضحك
كثيرا . وضحكت معه وأنا اشعر بالامتنان والراحة .

وبعد لحظات قليلة فتح الباب ودخل راؤل وقال :

— أعتقد أنك أردت مقابلتى ياسيدى ؟ لقد وصلت
لتوى .

وعندما رآنى ، توقف عن الكلام مع أبيه وقال لى :
— مساء الخير يامدموازيل !

فنهضت واقفة بسرعة ، وقلت باللغة الفرنسية :

— كنت على وشك الانصراف .

فرايت حاجبي راؤل يرتفعان ، فصمت برهة ثم
قلت :

— ربما مسيو راؤل قد اكتشف شيئا ما عن اطلاق
النار ؟ هل كان يبحث عن هذا الرجل ؟

فقال مسيو دى فالى :

— لا . حسنا يا آنسة مارتن ، شكرا على مجيئك .
تصبحى على خير .

فقال راؤل بانفعال :

— اطلاق النار ؟

كان يوجه الحديث لى ، فترددت قائلة :

— اذن .. اذن أنت لا تعرف ما حدث اليوم ؟

— لا .. ما الذى حدث ؟

فقال ليون ببرود :

— أهد الحمقى قد أخطأ ببندقيته فى الغابات أصابة
ابن عمك .

- ماذا ؟ أطلق شخص النار على فيليب ؟ هل أصيب ؟

- لم يمسس بسوء .. لقد كنت في الخارج . هل شاهدت أى أحد ؟ أى طريق سلكت ؟

- الشرق ، حتى جانب التل . لم أراى أحد .

والتفت نحوى :

- هل تسمحى أن تخبرينى ماحدث بالضبط ؟

فقصت القصة مرة أخرى ، واستمع بدون حركة ،

وعندما انتهيت قال لوالده :

- اعتقد أنك ستعالج هذا الأمر ؟

- نعم .. نعم !

وإثناء حديثه مع راول عما قد فعله ، أخذت أراقب كلا منهما متعجبة من علاقتهما الغريبة ، وارتفعت عيناي للوجه الصغير فوق المدفأة بابتسامته اللامبالية . لا ، انه ليس راول ، ولا يمكن أن يكون هذا هو راول . فهناك شيء في وجهه ، شيء قائم وصعب لا يمت للولد الضاحك

في الصورة بصلة • وكان لدى شعور بأن هذا الشاب
أسلس وأسهل في التعرف عليه ••

كان ليون دي فالمر يتحدث :

— اعتقد أن من الضروري أن تأخذ الأنسة مارتن
إجازة هذا المساء •• لماذا لا تنزلين إلى ثونون يا أنسة
مارتن ، بعد ما تضعين فيليب في سريره ؟

فقال راؤل :

— ولكن لن يكون هناك اتوبيس إلى ثونون في ذلك
الوقت • يمكنك أن تأخذي سيارتي • هل تعرفين
القيادة ؟

— لا ، ولكن لا يجب أن تفكر في هذا الأمر ، فانا لا
أحلم ••

— هل يمكنك الاستغناء عن برنارد ليقودها يا أبي ؟

— طبعاً ، أرسلته لبحث عن ذلك الأحق الذي أطلق
النار ، ولكنه لا بد أنه عاد • إذن ، أتمنى لك أمسية سارة
يا أنسة مارتن ؟ أمسية للذكرى ؟

فقلت وأنا أفكر في وجه فيليب الملتخ بالوحل
والدموع :

— اعتقد أنها ستكون أمسية للنسيان .

وضحك ليون دى فالى ...

وعبر راؤل الحجرة وفتح الباب لى ، قائلاً :

— عند الثامنة ، إذن ؟

— شكرا !

— سوف أعمل على أن يكون هناك ، أنا ... أرى ...

أرى أننا نتكلم باللغة الفرنسية الآن ؟

وفى تمام الثامنة اخترقت أضواء السيارة الظلام
خلف قضبان الشرفة . كان فيليب قد نام لتوه وكانت
بييرث جالسة مع حياكتها بجانب المدفأة فى حجرة جلوسى
... وبقلب خفيف وخطوة خفيفة ركضت هابطة السلم
نحو أمسينتى للحرية غير المتوقعة .

كانت الكاديلاك تقف هناك ، ومحركها يدور ...
والصائق له قائمة طويلة وفى خلفيته الأضواء ، منتظرا
بجانب الباب . فدخلت وأغلقه ورائى ، ولف حول مقدمة
السيارة وجلس أمام مقوده بجوارى . فقلت :

— أنت ؟ لم يكن هذا فى الاتفاق ، اليس كذلك ؟

ألم تستطع العثور على برنارد ؟

فضحك راؤل • وتحركت السيارة وغاصت بنعومة
هابطة المنعطفات •• ثم قال :

- نعم ، ولكنى لم أخبره • هل عندك مانع ؟

- بالطبع لا ، هذا لطف منك !

فقال بخفة : ،

- اذا كنت ستتبعين رغباتى فانى اذكرك •• انى
افعل ذلك دائما •• فهذه هى طريقة حياتى !

- لماذا • التحذير ، ؟ هل رغباتك خطيرة ؟

- احيانا !

وأصبح وجهه جادا بشكل فجائى • وقاد السيارة
لفترة فى صمت وجلست فى صمت أنا أيضا وينتابنى شيء
من الخجل ، أراقب التواءات المنعطفات • واجتزنا الجسر
بحذر متجهين الى الطريق الرئيسى ، مع زيادة السرعة ،
وقال :

- يبدو أنك اجتزت الآن حالة الخوف التى كنت
فيها • هل كنت خائفة ؟

- اليوم ؟ نعم ، كنت • ليس خوفا من أن اقتل او

أى شيء ، ولكنى كنت خائفة بشكل ما • أعتقد أنها كانت لحظة سماعى الطلقة وفيليب ملقى ممددا أمامى على الممر •• تلك اللحظة بدت وكأنها ستدوم الى الأبد •

— وبعد ذلك ؟

— بعد ذلك كنت حائقة •• حائقة جدا ••

واضفت محاولة أن اشرح احساسى هذا ، فقلت :

— انه هادىء جدا . فيليب •• هادىء أكثر من

اللازم •• والأولاد الذين فى سنه لا يجب أن يكونوا هكذا

•• واليوم أصبح أفضل ، أصبح يصيح بكلام فارغ

ويتشاقى ويقفز هنا وهناك ، وأصبحت مسرورة بذلك •

وبعد ذلك ، وفجأة ••• هذا الأمر الفظيع !

وجزرت على شفتى وتطلعت بعيدا عنه خسار

النافذة • فقال :

— سوف تشعرين بشكل مختلف تماما عندما تنتهين

من العشاء ••

كنا قد وصلنا الى قرب ثونون الآن ، فقال راول :

– ماذا تقولين ، هل نقضى ليلة حقيقية في الخارج ؟
.. نذهب الى جنيف ونأكل شيئا ، ثم نرقص أو نذهب
الى سينما أو شيء كهذا ؟

فقلت بسعادة مفاجئة :

– أى شيء .. كل شيء ، اتركه لك ..

فقال راؤل :

– ممتاز !

وعندما وصلنا جنيف .. مدينة متلألئة الأضواء
منعكسة على مياه البحيرة الداكنة .. أصبحت روحي
المنعوية مرتفعة ارتفاع السماء ، ونسيت الصدمة
والوحدة والاحساس بالخطر .

لماذا اعتقدت انه صعب أن يعرف ؟ تحدثنا كأننا قد
عرفنا بعضنا طوال حياتنا .. وسألني عن باريس ،
ووجدت نفسي ، ولأول مرة ، أتكلم بسهولة عن أمي
وأبي وبيتنا هناك . حتى سنوات الملجأ أصبحت نكري
استطيع التحدث عنها باستمتاع .

وتحدث راؤل بدوره عن باريس التي يعرفها هو ،
مختلفة تماما عن معرفتي بها .. وعن لندن التي بدت

مختلفة ٠٠ وبعيدة آلاف الأميال عن دار الفتيات في شمال لندن ، وعن قصر بلفين الصغير ، المائل في هدوء بين حقول الكروم المتربة في نور الشمس الحارة .

أى شيء ماعدا عالمي ٠٠ فلا أظن أنها ذكرت مرة واحدة ٠٠ وفعلنا كل شيء ٠٠ وتناولنا عشاء مدهشا ٠٠ لم يكن المكان على أحدث طراز ، لكن الطعام كان رائعا ، وملابسي لم تكن ذات موضوع . وبعد ذلك ذهبنا الى مكان آخر ورقصنا ، ثم قدنا السيارة راجعين الى ثونون مزمجرين على طول الطريق بسرعة جعلت دمي يتسابق مع الاثارة ٠٠ ومع ذلك كنت لا أشعر ، في تلك السيارة المدهشة ، وفي تلك الليلة الجميلة بأى سرعة على الإطلاق !

اندفعت السيارة الكبيرة صاعدة القل المرتفع الى ثونون ، عبر الميدان الخالي ، وتركنا المنعطف الذي يؤدي الى سوبيرو ، فقلات :

— هاى ! لقد تركت المنعطف !

فنظر الى بجانب من عينيه . وقال :

— انى أتبع احدى رغباتى الخطيرة . هناك كازينو في ايفيان ٠٠ !

تذكرت مسز سيدون وابتسمت لنفسى ، وانا اقول
له :

- ماهو رقمك المحفوظ ؟

- لا اعرف بعد ، ولكنى اعرف ان هذه هى الليلة
التي ساجده فيها !

وهكذا ذهبنا الى الكازينو ولعب وراقبته ، ثم
جعلنى اللعب ، وكسبت .. وكسبت مرات اخرى ...
ثم خرجنا وشربنا قهوة مخلوطة بالبراندى ، وضحكنا
كثيرا .. ثم ، اخيرا ، عدنا الى قواعدنا سالمين .

كانت الثالثة صباحا عندما توقفنا بجوار الباب
الجانبى ، وشكرته واخذت طريقى الى حجرتى ..

لابد انى كنت اظير فى حلم .. كان حلما مخيفا ،
مدهشا ، وغيبيا .. لكنه حدث ، ولم استطع ان افعل
شيئا حياله ..

لقد احببت راؤل دى فالى !!

الفصل العاشر

كان أمرا متوقعا .. ولا بد أن يحدث . لقد جئت مباشرة من حياة هادئة قضيتها في ملجأ وفي مدرسة .. فكيف لي أن أقاوم الوقوع في حب رجل مثل راؤل دي فالى ؟ رجل له سحره وجماله غير العادى ، وتفضل بأن جعل فتاة وحيدة تتمتع بقضاء أمسية سعيدة .. أمسية للذكرى ..

لم يكن الأمر أكثر من ذلك ، وأدركت أنا ذلك تماما .. وبالرغم من كمية القراءات الرومانسية ، والعديد من الأحلام الوردية ، فلا يزال عندى كثير من التفكير الفرنسى العاقل .. لقد أخذت نصيبي من أمسية جميلة .. أما الغد فانه يوم آخر ..

وهكذا أصبحت ٠٠ وبعد الافطار اختفت الكاديلاك
أسفل المنعطفات ، واعتقد أن راؤل كان عائدا الى
بلفين !

لم يعترف أحد باطلاق النار ، وكان هناك أمل ضئيل
في اكتشاف المزيد . وعادت الحياة الى نمطها المعهود ،
فيما عدا الاهتمام بحفلة عيد الفصح القادمة والتي كانت
تعقد طوال سنين عديدة في فالسي يوم الاثنين من عيد
الفصح ٠٠

قالت بيرث :

— وفي الليلة التالية ، نعقد نحن حفلة رقص لجميع
العاملين بالقصر ، تحت في سوبيرو . والجميع يذهبون
الى هناك !

اختلط سروري بفكرة حفلة الرقص بالقلق لعدم
وجود ثوب عندي لأرتديه في حفلة الرقص هذه . أعرف
كيف أحبك الملابس ، ولقد وفرت معظم راتبى ٠٠

وفي يوم الاجازة التالي نزلت الى ثونون بالاتوبيس
لأشتري قماشاً لثوب يصلح للرقص ٠٠ وأخيرا عثرت
على قماش ايطالى ابيض جميل منسوج بخيوط رفيعة

من الفضة • كان مرتفع الثمن جدا ، وترددت لعدة دقائق ، ولكنى اشتريته ••

كانت الساعة الخامسة تقريبا في يوم عاصف من شهر ابريل ، مع رذاذ مطر معلق في الهواء • وقررت ان احتسى فنجانا من القهوة ، فأخذت طريقى عبر الميدان الى مطعم حيث موائده المرصوفة في الخارج تحتمى بزجاج واق •• وأخذت أبحث عن مائدة ، عندها سمعت صوتا من خلفى ينادينى :

— آنسة مارتن ؟

والتفت مندهشة لأن الصوت هذا كان انجليزيا •• انه الشاب الأشقر الذى التقيت به عند الصيدلى • لقد نسيت كم كان شابا ضخما عملاقا • جعلنى افكر الآن في دب ضخم خجول •• وقال :

— هل تذكرينى ؟ لقد التقينا في سويسرا !

— طبعا أذكرك يامستر بليك •• أمل الا تكون قد استخدمت ايا من تلك الضمادات والاسعافات الأولية ؟ فابتسم وقال :

— ليس بعد •• هل كنت ستجلسين ؟
هل اطلب لك بعض القهوة ؟

شكرته ، وجلسنا بجانب الزجاج .. واثناء
احتسائنا القهوة ، سألني عن اخبار غالى . فاخبرته
عن بعض تفاصيل ما قد حدث في يوم الثلاثاء بعد الظهر
.. فانصت بانتباه عظيم وينظرة مصدومة تبدو في عينيه
وسأل :

- ماذا فعل دى غالى حيال ذلك ؟

- اوه ، انه لا يزال يتقصى .

- والابن كان هنا ، اليس كذلك ؟

فشعرت بالدم يرتفع الى خدى ، وقلت :

- كان .. لكن لا يمكنك بالتاكيد .. لا يمكن ان
يكون هو !

- لا ؟ شخص آخر كان معه في ذلك اليوم ؟
فقلت بسرعة :

- انه .. انه لا يمكن ! وكيف حال اشجار
الصنوبر ؟

واخذ وليم ، في الحال ، يتكلم بسعادة عن عمله ،
حتى لاحظ فجأة مرور الوقت .. كان ينوى زيارة بعض

الأصدقاء في ايفيان • وكان عليه أن يلحق بالأتوبيس •
وبعدها بلحظة دفع الحساب واندفع مسرعا •

كنت على وشك عبور الطريق عندما وقفت سيارة
كبيرة بجانبى •• كاديلاك •• وبدأ قلبى يرق بسرعة ،
ثم سمعت صوت راؤل وهو يسألنى :

— أذهبة في طريقى ؟

كان بمفرده في السيارة ، فركبت بجانبه بلا كلمة ،
وتحركات السيارة عبر الشوارع المضيئة بأنوار ساطعة
•• وعندما بدأنا نصعد نحو التلال ، اظلمت الدنيا من
حولنا •• كان يقود مسرعا جدا ، ولم يتكلم •• وقلت
أخيرا :

— رجعت بسرعة • لم تذهب الى بلجين ، اذن ؟

— لا ، كان لدى اشغال في باريس •

فأسندت ظهري الى الخلف في صمت • انه يقود
دائما بسرعة ، لكن هذا المساء كان يكاد يصل الى
حافة الخطر • يبدو أن أمرا ما قد أساءه وعكر مزاجه •
وسألنى :

— من كان ذلك الشخص ؟

جاء السؤال فجأة كاسرا سكون الصمت حتى أنفى.
قفزت ، وقلت بغباء :

— أى شخص ؟

— الرجل الذى كنت معه فى المطعم ..

فتذكرت وليم وقلت :

— أوه ، هو . انه صديق لى !

— كنت أظن أنك لا تعرفين أحدا هنا .

فقلت بطريقة طفولية :

— حسن ، أنا أعرفه .

كان على أن أجاهد لاحافظ على ثبات صوتى ..
كان التغيير فيه منذ الليلة الماضية عظيما .. شتان بين
الرجلين ، لكن تظل الحقيقة واضحة :

انى أصبحت احبه .. لم يكن من تأثير النبذ أو
انوار النجوم والخلفية الرومانتيكية .. ولا حتى من
السحر الذى فاض منه .. والآن المطر ينهمر فذاب
للسحر وتلاشى .. ومازلت مع ذلك واقعة فى حب هذا
الغريب ذى الصوت البارد ..

- من هو ؟ انجليزى ؟ هل كنت تعرفينه فى انجلترا ؟
هل هو يعيش هنا منذ فترة طويلة ؟
فقلت :

- لحظة من فضلك .. هل هذا يهم فى شيء ؟ لماذا
تسال كل هذه الاسئلة ؟

ومرت برهة صمت ، ثم قال بجمود :

- انا آسف . انا لم اقصد ان اتقصى شئونك
الخاصة !

- انها ليست خاصة . . مجرد اننى لا اريد ان
أخبرك ..

عندئذ لم يكن هناك أى شك بخصوص غضبه ،
فقاد السيارة مارا بجسر هالى وصاعدا المنعطفات
بسرعة مضاعفة عما يجب ان يفعل . فقلت :

- انا آسفة . اعتقد اننى متعبة . لقد مشيت فى
ثونون حوالى ساعتين ، باحثة عن قماش لثوب لى ..
أوه ! لا بد انى تركته فى المطعم ! لقد وضعته تحت المائدة ،
ثم انسانى وليم .. أوه !

وهنا اطلق نغير السيارة بحدة ، فقلت :

— ما هذا ؟

— حيوان على الطريق • لم أستطع ان أرى ما هو !

— هل لابد ان تقود بهذه السرعة ؟ انها تخيفنى !
فأخفضت سرعة السيارة ••

— هل أخبرته عن إطلاق النار ؟ هذا •• ولیم هذا ؟

فقلت بوضوح :

— نعم ، قلت له •• ولم أعرف أنه من المفروض على ان أقدم لمستخدمى تقرير عن كل شيء قلته وفعلته في يوم أجازتى !

فقال من بين أسنانه :

— أنا لست مستخدمك !

— اذن لماذا تريد ان تعرف ماذا أفعل •• أو من أقابل ••

كنا عند آخر صعود للمنعطفات •• ووقفت الكاديلاك

وقفة مفاجئة وتعمل محركها وتراجع راؤل دى فالى
ومال نحوى ، وقال بعثف فجائى :

- لماذا ؟ لانى اريدك لى وحدى ، ايتها الحمقاء
الصغيرة ! الا تستطيعين ملاحظة ذلك ؟

وبعدها اعاد تشسفييل السيارة مرة ثانية وانطلق
صاعدا الى الساحة الخارجية بدون كلمة اخرى .

وقفزت خارجه .. وصعدت راكضة السلالم الى
الباب الامامى .. ولحقنى ، وفتح لى ، قائل شيئا ما
بصوت منخفض مع ضحكة صغيرة . لم انظر اليه ،
وسرت امامه مباشرة نحو ليون دى فالى ، الذى كان
يعبر البهو .. فاقف كرسية ، والتفت براسه ليحيينى
.. ثم ذهبت عيناه من وجهى الى وجه راؤل ، ثم عادت
ثانية ، وارتفع حاجباه قليلا .. واستدرت وركضت
صاعدة للطابق العلوى !

الفصل الحادى عشر

استندت على باب حجرة نومى . وانا احس بأن وجهى ساخن من شسدة احساسى بالنجس . تبا له راؤل ! .. انه يسخر منى ، ويلعب بى ، لأكون مجرد فتاة اخرى فى قائمة انتصاراته العاطفية .. كيف له ان يجرؤ ويعاملنى بهذا الشكل ؟ .. تبا لليون ايضا .. تبا لجميع افراد عائلة دى فالى .. انى اكرهم .. انا لا أريد ان أرى أحدا منهم مرة ثانية !

ومع هذا التفكير ، توقفت عن خلع معطفى ... من السهل على ليون دى فالى ان يخمن ما قد حدث ، ومن المحتمل ان يستغنى عنى !

وأثناء تعليقى لمعطى على الشمامسة شعرت
بالبؤس تماما لفكرة انى لن ارى ايا من افراد دى عالمى
الكريهين مرة اخرى .

ومشيت عبر حجرة الجلوس الخاصة بى الى حجرة
الداسة . . كان الضوء ساطعا ، ولكن لم يكن أحد
هناك . وكانت احدى النوافذ مفتوحة ، والستارة تتحرك
قليلا بسبب الريح .

شعرت بالديرة ونظمت الى الساعة . لابد ان
فيليب قد عاد بالتأكيد من زيارته لدام دى عالمى ؟ . .
وذهبت لاضع كتلة حطب فى المدفأة عندما سمعت الصوت
. . كان صوتا خافتا جدا . . لكنه جعل اطرانى تتجمد
من الرعب . كان الصوت وكأنه يقول . . مدموازيل !

جاء الصوت عبر النافذة المفتوحة ، فاندفعت عبر
الحجرة ، وخرجت الى الشرفة المظلمة . وناديت :

— فيليب ؟

كانت اطراف الشرفة غارقة فى ظلام دامس ، بينما
كانت ارضية الشرفة زلجة بسبب المطر . وناديت مرة
اخرى :

— فيليب ؟ فيليب ؟

فجاءتني همسة صغيرة مفزعة من الزاوية الحالكة
الظلمة .. كان راقدا على كومة صغيرة مقابل جانب
الشرفة ، او بالأحرى ، حيث كان الجانب موجودا ،
فالافريز لم يعد موجودا ، وكان سلم العمال الخشبي
موجودا هناك بدلا منه ، هذا السلم الذى وضعته بنفسى
ذلك الصباح ، عندما لاحظت أن الحجر غير ثابت ..
وكان تحت ذلك فراغ من العتمة ومسقط مسافته عشرة
أمتار الى الساحة الخارجية ، وذلك الصف المربع من
القضبان الحديدية المدببة .. !

— أوه ، فيليب يا صغيرى ، هل أنت على مايرام ؟
والتقطته بين ذراعى ، وكان خفيفا جدا ، كان يبدو
وكانه مجرد حزمة من عظام طائر صغير ، وحملته الى
داخل الحجرة وأجلسته بجوار المدفأة . وسأله :

— والآن ، أخبرنى بما حدث يا حبيبى .. هل سمعت
السيارة وركضت خارجا الى الشرفة ؟
فاوما برأسه . فقلت له :

— ولكنى حذرتك بأن الحجر سائب .. ويمكن أن
يقع !

— سمعت النفير ، فتذكرت .. كان أبى يستخدم
دائما النفير عند عودته من بعيد ، ليخبرنى أنه قادم .. !

بالطبع ، كان راؤل هو الذى أطلق النفير .. انه
لم ير شيئاً فى الطريق ، هل كان هناك حيوان بالفعل ؟

- ضربت الحجر ، فلم يعد له وجود .. لقد سقط
محدثاً صوتاً عالياً ، وصدمت فى شيء ثم سقطت .

- لقد صدمت فى السلم الخشبى .. حمداً لله اننى
وضعتته هناك : اوه ، انك مبتل وتشعر بالبرد .

واخذت افرك يديه الصغيرتين . وقال :

- لم أجرو ان اتحرك . كنت اعرف انك سوف
تعودين .. ولذلك انتظرت .

- وهانذا قد جئت . حمداً لله !

وعندئذ خطرت فى ذهنى فكرة أخرى ، فسألته :

- فيليب ، أين كانت بيرث ؟ كنت اظن انها كانت
معك ..

- جاءها برنارد . وارادها لأمر ما .

- فهمت . حسن ، اذهب الآن واخلع ملابسك
المبتلة ، وسوف أحضر لك الحمام .

وذهبت لأفتح الماء في الحمام وضربت الجرس
لبيرث ، وبمجرد أن أغلقت الماء ثانية سمعت طرقا على
باب حجرة نومى . لم تكن بيرث ، بل مدام دى فالى ،
فتطلعت اليها باندماش : وهى لا تأتى عادة الى هذه
الحجرات ..

كان هناك تعبير غريب يبدو واضحا في وجهها .
وقالت :

- أنسة مارتن .. هل أنت .. تذ .. تذكرت ان
تحضرى دوائى معك اليوم ؟

- نعم يامدام ، تذكرت ، سأذهب وأحضره لك في
الحال !

- أنا أسفة لأزعاجك وانت تغيرين ملابسك .

- أوه .. الحمام ، تقصدين . لا ، انه ليس لى ،
انه لفيليب ..

وناديت :

- فيليب ، حمامك جاهز !

وذهبت الى حجرة جلوسى لأبحث عن حقيبتى .
كنت أفكر في الطريقة التى سأخبرها عن نجاته من موت

محقق ، ولكن عندما استدرت عائدة اليها ثانية ورأيت وجهها ، توقفت من الرعب . كانت تتطلع الى الحمام ، وكأنها تتصنعت على فيليب في حمامه ، ولكن كانت عيناها مفلقتين وخداها رماديين .

— مدام ، هل انت مريضة ؟

— لا ، لا . ساكون على مايرام بعد قليل . . . أين اقراصى ؟

— لابد انها في جيب معطفى . نعم ، هاهى !

فقبضت على اللعبة الصغيرة التى ناولتها لها ، وقالت :

— شكرا لك . لا تقلقى على يا آنسة مارتن . . . هذه الأمور تمر ببساطة . . .

ونظرت تجاه الحمام ، حيث كان فيليب يصدر كثيرا من الضجيج وقالت :

• — يبدو على فيليب . . . انه سعيد جدا .

فقلت بابتهاج :

— أوه ، نعم . . . انه بخير !

وفتحت الباب لها ورأيت بيرث في الخارج . على
وشك أن تطرق الباب ، فقلت :

- أوه ، بيرث ، المدام تبدو متعبة بعض الشيء .
اصحبها الى حجرتها ونادى على البرتين ، هل هذا
ممكّن ؟ .. وانتظري حتى تحضر ، ثم عودي الى هنا
ثانية .

- حاضر يا آنسة !

كان عقلى مشغولا بسؤال جديد الآن .. ما هو
هذا الدواء الذى كانت مدام دى فالى في حاجة اليه بهذا
الشكل الملح ؟ لقد كنت أفكر أنه عبارة عن أقراص
منومة .. ولكنها كانت تبدو كأنها تعاني من نوبة قلبية
أو عصبية . ولايمكن أن تكون الأقراص المنومة مفيدة
لذلك ..

وخرج فيليب من الحمام مرتديا ملابس النوم ،
فقلت له :

- فيليب ، اننا لن نخبر بيرث عن .. مفامرتك .
ان زوجة عمك صحتها ليست على مايرام ، ولا أريدها
أن تتكرر في الوقت الحالى .

— حسن ، ولكن .. سوف تخبرين عمى ليون ،
اليس كذلك ؟

— طبعاً . انه لمن المدهش انه لم يسمع سقوط
الحجر بنفسه . كان في البهو عندما دخلت ، وكان ذلك
بعدها بلحظات قليلة فقط .. آه ، بيرث . كيف حال
الدام ؟

— افضل يا أنسة .. انها راقدة الآن .. البرتين
تقول انها سوف تكون بخير وستنزل للعشاء .

— انا سمعيدة لأسمع ذلك .. هل .. تناولت
اقراصها ؟

— اقرص ؟ لا يا أنسة ، انها كانت في حاجة لدواء
القلب . انها تحتفظ به بجانب فراشها . البرتين اعطته
لها ..

— فهمت .. على فكرة يا بيرث ، اليس من المفروض
ان تكونى في جناح حجرة الدراسة اثناء وجودى في
الخارج ؟

— نعم يا أنسة ، ولكن برنارد جاء من اجلى ..
كان يريد شيئاً كنت احيكه للسيد .

ورمتني بنظرة جانبية ، فتذكرت كلام مسز سيدون
وقلت :

- فهمت • حسن ، كان يجب الا يبعدك هذا طويلا

- لا يا انسة ، ولكنه لم يكن في المكان الذي
وضعت فيه • لقد حركه شخص ما من مكانه •

- حسن ، السيد فيليب خرج ليلعب في الشرفة ،
وبلل نفسه ، لذلك من الأفضل أن يتناول عشاءه في
فراشه •

- نعم يا انسة ، ولكن تعرفين •• برنارد كان
متعجلا وهو

وقطعت كلامها ، واصبحت في لون قرنفلي . فقلت
في نفسي :

- ولكنك كنت تودين ذلك ••

وتناولت العشاء مع فيليب ، وبعد ذلك قرأت له
قصة •• ولكني عندما خرجت متجهة الى المطبخ
لأحضر له مشروب المعتقد قبل النوم ، اصر على
مصاحبتي •• وتركته يراقب الحليب على الموقد أثناء
وضعي معيار الكاكاو والسكر في الفنجان الأزرق الذي

اعتاد على استعماله ، وبقيت معه حتى شربه ، ثم قبلته
قبل النوم ، ولكنه تمسك بى بشكل ملح ، فقررت الا
انزل لمقابلة ليون دى فالى فى تلك الليلة .

واخذ فيليب للنوم اخيرا ، ولكن عقلى كان مفعما
بالقلق ، فلم أستطع أن أرتاح . . . وعندما سمعت - فى
وقت متأخر - صوت سيارة قادمة صاعدة المنعطفات ،
قفزت على قدمى ، وتسحبت بهدوء خلال الظلال الى
باب حجرة فيليب . كانت أعصابى مشدودة ومتوترة .

كان نائما ، فعدت الى حجرة نومى ، وكنت أعد
نفسى لدخولى الفراش عندما طرق شخص ما على
الباب برقة ، ففقت مندهشة بعض الشيء :

- من بالبواب ؟

- بيرث يا آنسة !

كانت تحمل لفافة ، ورمقتنى بنظرة فيها غرابة
وقالت :

- هذه لك يا آنسة . فكرت أنك قد تكونى فى
فراشك ، ولكنى أمرت أن أحضرها لك فى الحال .

تملكتنى الحيرة ، فجلست على السرير ، وفتحت
اللفافة .. وظللت جالسة لبعض الوقت ، ناظرة الى
للقماش الابيض المطرز بالخیوط الفضية .. وعندئذ
لاحظت ورقة بها رسالة تقول :

- آسف اذا كنت قد أذيت شعورك . كان يقلقنى
امر ما ، ولكن هذا ليس بمذر . لقد أحضرت لك
لغافتك ! .. هل ستغفرين لى ، من فضلك ؟ .. وأول .

الفصل الثاني عشر

وفي الصباح التالي بدا كل شيء وكأنه حلم • غادر
راؤول فالى مبكرا ، هذه المرة الى الجنوب وبلغين ، ولم
أره وهو يذهب •

وعندما ذهبت الى المكتبة لأخبر مستخدمى عن
نجاة فيليب الثانية ، كان جالسا خلف المكتب الكبير •
استمع الى قصتى بنظرة غريبة قاتمة ظهرت واضحة
في عينيه ، ثم جلس بعدها فى صمت لمدة دقيقة ، فانتابنى
شعور بأنه قد نسى وجودى هناك ••

بعدها قال فجأة :

— ثانية ١٩

فقلت مندهشة :

— عصفو ؟

— هذه هي المرة الثانية في أيام قليلة يا أنسة
مارتن ، نبدى لك شكرنا .. لنفس هذا السبب المزعج .
فقلت :

— أوه ، فهمت ، ليس هناك مدعاة لذلك . أى
أمرىء

— أى أمرىء كان قد فعل نفس الشيء ؟ لا يا أنسة
مارتن ، مازلت أعتقد أننا محظوظين بوجود .. فتاة
كفء مثلك للاعتناء بفيليب . متى وضعت العلم الخشبي
هناك ؟

— بالأمس فقط ..

— حقا ؟ .. وما الذى جعلك تفعلين ذلك ؟

— قبل ذهابى الى ثونون خرجت الى الشرفة لأرى
لذا كانت السماء ستمطر .. كان السلم الخشبي
ممددا هناك ، فظننت أن العمال كانوا هناك .. ولاحظت
أن الحجر كان سائبا ، ولكنى كنت في عجلة من أمرى
للحاق بالأتوبيس ، ولذلك ، ما كان على إلا أن ادفع

بالسلم الخشبي أمام الحجر . كان يجب على أن أخبرك
في الحال . . . انى . . . انى في غاية الأسف !

— لا داعي لأسفك ، فلا يمكن أن تعرف أن الحجر
سائباً بهذا الشكل . سوف أقدم مشكلة بخصوص ذلك ،
ولكن دعينا نعمت لعدم وقوع أى مكروه !

تكلم بهدوء شديد لدرجة أنى رميته بنظرة اندهاش
حادة ، فرد لى نظرتى بنظرة منه . وقال :

— حسن يا آنسة مارتن ؟

فقلت في ارتباك :

— لا شيء ، أنا . . . انك تأخذ الموضوع ببساطة .
لقد توقعتك أن تكون غاضباً . . .

فقال :

— ولكنى غاضب ، غاضب جداً . . .

والتقت عيناي بعينيه في هذه اللحظة فأدركت أنه كان
يقول الحقيقة . . . وواصل حديثه :

— . . . ولكن لكونى رجلاً عاقلاً ، فانى احتفظ
بغضبي لهؤلاء الذين يقع عليهم اللوم . . . عندما يكون
المرء عاجزاً يا آنسة مارتن ، فعليه أن يتعلم تجنب

المجهود غير المجدى .. ماهو النفع من وراء الصياح عليك ؟ وانت لا لوم عليك .. كيف حال فيليب ؟

- فيليب ؟ اوه ، كان خائفا ومتكدرا ، لكنه على مايرام الآن .. بل انه حتى فخور ببعض الشيء بمغامرته ..

واضفت قائلة :

- متى يأتى مسيو هيپوليت للبيت ؟

فادار رأسه بسرعة ، وتحرك الكرسي بشكل مفاجيء .
لدرجة ان الذراع اصطدم بحافة المكتب ..

فصرخت قائلة :

- لقد أصبت يدك ! انها .. انها تدمى !

- انها لا شيء .. ماذا كنت تقولين ؟

- تساءلت متى يأتى هيپوليت عم فيليب للبيت ؟

- ليس عندى أى فكرة .. ولكن لماذا ؟

تطلعت لأراه يراقبنى ، وكان هناك شيء ما فى حلقته الهادئة الجمنى ثم أرخى عينيه القاتمتين ، وحرك سكين قطع الأوراق الملقاة على المكتب بضعة سنتيمترات الى أحد الجوانب ، وكرر قائلا :

- لماذا تسألين ؟

- لأن فيليب يسألني دائما ، وأنا اتساءل اذا كنت قد سمعت من مسيو هيبوليت ؟

- آه ، حسن ، مع الأسف ، أنا لا أعرف بالضبط .
.. ان أخى مقصر فى كتابة الرسائل ، لكنه سيتأخر
ثلاثة شهور أخرى على الأقل .. اعتقد أن فيليب يعرف
ذلك ..

ورفع سكين قطع الأوراق ، ووضعها حيث كانت
بالضبط من قبل ، رابتسم بطريقة ساحرة ، وقال :

- حسن يا آنسة مارتن ، اننى لن أعطلك ، ومازالت
ارى أن استخدم بعض ذلك الغضب فى اتجاهه الصحيح !

واتجه الى التليفون ، وهربت أنا من المكتبة . كنت
أفكر .. لماذا يجعلنى دائما أشعر مثل فأر بين مخالف
قط ، مخالف لطيفة ، ولكنها مهددة ؟

كنت أفكر أيضا فى ذلك الغضب الذى نوقش أكثر
من اللازم . كان لدى الاحساس بأنه - مهما قال -
فبعضه كان موجها مباشرة الى ..

لم يعد باقيا الا اسبوعين فقط على حفلة عيد
الفصح ، وكان لدى عمل كثير أقوم به للانتهاء من
ثوبى . اقرضتنى بيرث ماكينة الخياطة التى تستخدمها
لأجل خياطة البيت البسيطة ، وحيث أنها كانت فى نفس
حجمى ، لذا وافقتنى على أن الفصل الموديل عليها .

ومع مضى الأيام ، أصبح القصر مليئا بالنشاط
والحيوية ، وإذا كان هناك أى نقص فى المال حقا هنا ،
فلن يستطع أحد أن يضمن ذلك . . . وفتحت حجرات
النوم نادرة الاستخدام ، لقدوم ضيوف فى نهاية
الاسبوع ، وفتحت قاعة الاحتفالات الضخمة وحجرة
الحلوس الكبيرة ، وغسلت المصابيح ولعت المرايا ونقل
الأثاث والسجاد من مكان لآخر . . . وكان كل شيء تحت
أمره مسبوور دى فالى بعينه الثاقبة . . . وكان كرسيه
يتحرك فى كل مكان ، وصوته كان يسمع فى كل حجرة .

وهكذا ، قطعة قطعة ، وركنا ركننا ، أصبح المنزل
السكبير معدا لحدث العام . وبدت الاثارة تتكثف فى
الهواء مع اقتراب موعد عيد الفصح .

وعندئذ جاءت اللسمات الأخيرة ، فقم احضار
مئات من الزهور وضعت فى زهریات ، ورتبت على

جوانب قاعة الرقص والقاعة الكبيرة ، كما وضعت
أحواض ضخمة من الماء في الأركان ، محاطة بالنباتات
وشجيرات صغيرة ، وثبتت الأضواء الملونة حول
الساحة الخارجية كلها ..

كان قصر دى فالى يحتفل .. !

وفي يوم السبت وصل الضيوف . ولم يكن هناك
أى أثر لراؤل ، كما لم يأتى ذكره مطلقا . هل سيأتى ؟
أوه .. هل سيأتى ؟!

بقيت أنا وفيليب بعيدا عن طريق الضيوف ، في
جناح حجرة الدراسة . وفي مساء الأحد ، بعدما ذهب
فيليب الى فراشه ، كنت أنهى العمل في ثوبى ، ولقد
بقيت بيرث لتساعدنى .. فارتدته وهى تلف حول نفسها
أمامى ، بينما كنت أراقبها بعين ناقدة . وقالت :

— أخشى أنه سيبدو صناعية منزلية ، بجانب
الأثاث الرائعة بالطابق السفلى . هل مسيو فلوريمون
هنا ؟

— أوه ، انه يأتى دائما . انه يقول دائما أن لاشيء
يجعله يغيب عن هذا اليوم مهما كان .. انه يصمم نصف
ملابس السيدات ، على كل حال .

- ومسيو راؤل ؟ هل يأتى عادة ؟

كانت هناك لحظة صمت صغيرة ، رمتنى بيرث
بنظرة جانبية وقالت :

- انه لم يحضرها منذ سنوات ، ولكنهم يتوقعون
مجيئه هذه المرة !

وبدأت التقط الدبابيس المتناثرة فوق الأرض . وبعد
لحظة ، قالت بيرث :

- لماذا لا تجربيه عليك الآن يا آنسة ؟ أريد أن أراه
عليك ..

- وهو كذلك !

وذهبت الى حجرة نومى .. وساعدتنى فى ارتداء
الثوب .

- هل أساعدك فى ارتدائه غدا يا آنسة ؟

- أوه بيرث ، كم هذا لطيف منك ! طبعا أحب ذلك
جدا ..

وأخذت التفت يمينا ويسرة أمام المرأة . وقالت
بيرث :

— اوه يا أنسة ، انك تبدين جميلة ! لن يكون هناك
ثوب أجمل منه انه لشيء مؤسف لعدم وجود امرأة
افضل لترين نفسك كاملة .

— قالت لى المدام انى استطيع استخدام المرأة التى
فى حجرتها . ساذهب هناك وألقى نظرة ..

كانت هناك حجرة جلوس صغيرة تؤدى الى حجرة
نوم مدام دى فالى .. ذهبت من خلالها ، تاركة الباب
مفتوحا . كانت حجرة جميلة ، كلها اضمواء ناعمة
وحرير وردى اللون .. ووقفت أمام المرأة الضخمة ،
مع الستائر الحريريّة الوردية من خلفى .. واثناء
تحركى كانت الخيوط الفضية تسطع فى الغلالة البيضاء
للجونة .

وكان هناك شخص يقف بباب الحجرة ، وجاءت
خطوات سريعة عبر الحجرة . وسمعت صوت راؤل
وهو يتسائل :

— هيلواز ، هل تريديننى ؟

عندئذ رانى ، فتوقف فجأة ، وقال :

— لماذا .. هالو ..

كان يلهث بعض الشيء ، وفتحت فمى لأرد عليه ،
ثم تلعثمت ، فأغلقتة ثانية ، ولم أكن أستطع الحديث
إذا حاولت ..

للمت ثوبى وتحركت نحو طريق الباب ، حيث كان
يقف .. ولم يتنحى جانبا . بل اتكأ على حافة الباب ،
وقال :

– لا تهربى دعينى انظر اليك !

– يجب على .. اقصد ، من الأفضل لى .

لست متأكدة مما حدث بعد ذلك . أعتقد أنه تحرك
– لا .. !

ثم قالت أيضا :

– وهو كذلك . هل تريد أن تهربى فعلا ؟

وأعتقد اننى قلت ، بطريقة ما :

– لا .. !

ثم قالت أيضا :

– راؤل !!

عندئذ جاء مبتعدا عن عضادة الباب .. ثم عبر
الحجرة وأخذنى بين ذراعيه . وأزعجنى ضوء الحب

الملتهب في عينيه ، ولكن ، الى حد ما ، أرضى اعظم
أحلامي الرومانتيكية ..

وانفلت منه أخيرا قائلة :

— ولكن راول ، لماذا ؟

— ماذا تقصدين ، لماذا ؟

— لماذا أنا ؟ المربية الصغيرة .. وأنت .. يمكنك
الحصول على أى فتاة .. لماذا ؟

فأخذنى بيديه وأدارنى لأواجه المرأة ثانية ، وقال :

— لا داعى أن تحطين من شأنك ، أيتها المخلوقة
الجميلة ! أنظري الى نفسك . هذا هو الرد على :
لماذا ؟

كان هناك صوت خافت جاء من الحجرة الأخرى ،
فأدار رأسه بحدة ، ثم تركنى أفلت من بين يديه ،
وقال :

— آه ، هيلواز ، اننى أبحث عنك ، أعتقد أنك
تريدننى !

لقد كنا واقفين على مدى رؤية أى شخص يدخل

الى حجرة الجلوس ، حيث أصبحت هيلواز دى فالى
الآن ، تتحدث الى شخص ما خلفها ، وكانت البرتين
بجانبها ..

كان من المستحيل القول اذا كانت مدام دى فالى
قد رأت راؤل ممسكا بى أم لا ، ولكنى أدركت أن
البرتين قد رأتنى ..

- مدام .. كنت أستخدم مرآتك لأجرب ثوبى ..
أنك قلت أنى أستطيع ذلك ..

نظرت بعينيهما الرماديتين الى من فوقى الى تحتى
بدون تعبير ، وقالت بصوت بارد :

- طبعاً .. هل هذا هو الثوب الذى قمت بتفصيله
بنفسك ، يا آنسة مارتن ؟ انه جميل جداً ! لابد أنك
ماهرة مع إبرتك ..

فقلت فى نفسى : لابد أنها رأتنى بالفعل !

- تصبحى على خير يامدام .. تصبح على خير
مسيو .. وتسللت خارجة الى الممر ، وركضت عائدة
الى حجرتى ..

وفى اليوم التالى قضيت كل وقتى مع فيليب .

ولحسن الحظ لم يكن على أن أقابل مدام دي فالسي ..
وبعد الغداء أحضرت لي البرتين رسالة شفوية : هل
يمكن أن نسمح بأخذ جولتنا اليوم في اتجاه القرية ،
حيث أنه لا يمكن الاستغناء عن أي واحدة من الخدم ؟
وأثناء حديثها ، كانت الكراهية واضحة في صوتها
ووجهها ..

ووافقت بأدب ، وأخذت فيليب وهو غير راغب
ونزلنا إلى سوبيرو . وقأت لنفسى بثبات أن كراهية
البرتين لن تؤثر في . ولكنى كنت مخطئة .

وبينما كنت على وشك الدخول إلى الصيدلية ،
خرجت البرتين نفسها .. البرتين ، التي لا يمكن
الاستغناء عنها اليوم ، ! . فحملت فيها باندماش ..
فلم تظهر في وجهها أية علامة من علامات الارتباك ..
ولكنها رمتني بأحدى نظراتها الجانبية الباقمة ، ودخلت
إلى محل الحلوى الذي يقع خلف المقهى مباشرة .

كان تصرف الصيدلي معي ، عندما دخلت المحل ،
باردا جدا . وكان هذا ليس بالشئ غير العادي ،
ولكنى عند خروجي من المحل التقيت وجهها لوجه مع
مديرة منزل القسيس ، وفي هذه المرة لم يكن هناك أي

شك ازاء التغير . فبدلا من ابتسامتها الصديقة .
اعطتنى ايماءة مقتضبة ، مصحوبة بحمقة باردة !

وفيما بعد ، عندما اشتريت بعض الشيكولاتة من
محل الحلوى ، لاحظت أن ابتسامة المدام السمينية
أصبحت صارمة قليلا . وكانت عيناها السوداوان
فضوليتين وهى تقول :

- ومتى ستتركينا يامدموازيل ؟

فقلت ببرود :

- اننا لا نذهب الى ثونون من فترة طويلة .
يامدام . ان مسيو هيبوليت غير متوقع حضوره قبل
ثلاثة أشهر .

واثناء عودتنا سائرين فى شارع القرية لاحظت
حملقات وهمسات أخرى . لقد قامت البرتين بعملها
جيذا ، حسن : وكانت الأخبار تغطى كل سوبيرو .
لكن أى أخبار ؟ ترى ما الذى قالته لهم عن راؤل
وعنى ؟

وبعد تناولى الشاي ذهبت لأبحث عن مسز سيدون .
فهى قد تحكى لى - على ما أعتقد - ماهى القصص
التي تدور بين الخدم . ولكنى علمت أن الاثارة والعمل

الزائد قد جلب لها إحدى نوبات الأزمة الربوية المريضة بها . . ولقد ذهبت إلى فراشها ، وغير مستعدة للتحدث مع أحد . .

كان فيليب متكدرا أيضا : كان يشعر بأنه منسى وبعيد عن كل هذا الاهتمام ، ورفض أن يذهب إلى فراشه تماما إلا إذا صعدت « في منتصف الليل » وأخذه ليلقي نظرة على الرقص . وبعد أن وعده رضى ، وذهب مع بيرث ، وذهبت أنا لأجهز حمامى .

كان يجب على أن أكون سعيدة وأنا مرتدية ثوبى الجميل لأول مرة أرقص فيها . . مع وجود راؤل في مكان حابين الراقصين . . ولكن كانت تجرى في ذهنى فكرة : أنهم قد يستغنوا عني ويطردوني . . ليبعدوني عن عالمي . . وعن راؤل . . حتى حديث بيرث لم يبهجنى كما كنت أتوقع ، بل لاحظت أنها أثناء مساعدتها لى فى ارتداء الثوب ، كانت صامتة ورسمية بشكل غير عادى . .

وسمعت طرقا على الباب ، وذهبت بيرث لتفتحه . . وعادت وهى تحمل صندوقا وقالت :
هـ هذا لك !

كان الصندوق خفيفا ومفلطحاً .. ومن خلال
الغطاء البلاستيك استطعت أن أرى زهوراً رقيقة بيضاء
في لون الحليب على أغصان خضراء خضرة داكنة ..
مع بطاقة ظاهرة بين الأغصان ، بها حرف واحد كبير
واسود : « ر »

وانهيت ارتداء ثوبى في صمت ، ثم شبكت الأزهار
على ثوبى ، وذهبت نحو الموسيقى والضحك ..

الفصل الثالث عشر

كانت حفلة الرقص قد بدأت منذ قليل ، وكنت ممتة لأرى أن مسيو ومدام دي فالى قد انتھيا من استقبال ضيوفهما وكان مكانهما عند نهاية السلم الكبير خاليا .
ترددت عند قمة السلم ، غير راغبة في النزول على السلالم العريضة بمفردى . عندئذ مر من جانبي ثلاث نساء ، فتمكنت من النزول خلفهن .

كان من السهل التسلل الى حجرة الرقص دون أن يلاحظنى أحد . . . وعثرت على ركن محمى بصف من الأزهار ، وجلست بهدوء لأراقب الراقصين والراقصات .

كانت هيلواز ، رائعة المنظر في رداء حريري
بفضرة البحر ، ترقص مع رجل مرموق له لحية ..
ورأيت فلوريمون واقفا بعيدا هناك ، بجانب إحدى
النوافذ ، يتحدث ، أو بالأحرى ، يستمع لامرأة عجوز
شمطاء ذات شعر أزرق !

وتلفت أبحت عن راؤل . ورايته أخيرا .. كان
يرقص مع فتاة شقراء ذات عينين خضراوين وفم جميل
.. كانت ترقص ملاصقة جدا له ، وكان هو يبتسم لها ،
وينزل بعينه الى عينيها . كانا ثنائيا رائعا ، ولاحظت
أن كل الأنظار متعلقة بهما وتتبعهما . نعم ، فالأنظار
تتبع راؤل دى فالى دائما .. وتساءلت في نفسى من
هى هذه الفتاة ؟؟

وتوقفت الموسيقى ، وتحرك الناس للخلف الى
جوانب حجرة الرقص .. كنت مختبئة وسط الناس ، ولم
يلحظنى أحد . كانت هناك أسماك زينة في حوض كبير
بجانبى ، فأخذت أتأمل الأشكال الذهبية والفضية التى
تتحرك باحتراس في الماء .

وبدأت الموسيقى ثانية . ورقص راؤل هذه المرة مع
امرأة اكبر سنا ترتدى ثوبا أزرق قبيحا به مجوهرات
بديعة .. ثم مع امرأة سمراء بهية الطلعة .. ثم مع

٩٥٩

الفتاة الشقراء الجميلة ، ثانية .. ثم مع امرأة عجوز ذات شعر أحمر زاه .. ثم مع امرأة ذات شعر أبيض ووجه لطيف .. ثم مع الفتاة الشقراء مرة أخرى .. وتذكرت وعدى لفيليب ، فنهضت ..

وعندها قال صوت من خلفي تماما :

- ياموازيل !

فنفرت وكأنني مذنب ، وكان ماسيو فلوريمون ، يبتسم ابتسامته الساحرة وهو يقول :

- لا يجب أن تهربي الآن ، ياموازيل ! لقد تحدثت مع سيدات طاعنات في سن بما فيه الكفاية الليلة .. ولا أرقص ، كما ترين .. دعيني أستمع بالتحدث الى فتاة صغيرة وجميلة !

فقلت ، وأنا ارى يده تذهب الى جيبي :

- والاستمتاع بتدخين هادئ في نفس الوقت ؟ حسن يامسيو فلوريمون !

وجلست مرة أخرى ، فقال وهو يخرج علبة سجائره يابتسامة :

- المرأة العطوفة كنز يفوق الجواهر .. هذا ثوب

جميل جدا يا عزيزتى ! ولكن لماذا تخفى نفسك بعيدا ؟
لم أرك ترقصين !

— أنا لا أعرف أحدا !

— أوه ، أوه ! ألم تعرفك هيلواز باى من الشباب ؟

— اننى لم أرها فى الحقيقة .. لقد نزلت متأخرة !

— والآن هى .. آه ، نعم ، إنها ترقص . اذن أين

راؤل ؟ انه يعرف الجميع ، وربما هو ..

— أوه ، لا . أرجوك ! اننى .. اننى كنت على

وشك السعود .. لقد وعدت فيليب أن أراه . لا تزعج

مسيو راؤل من فضلك !

— تصعدين الى أعلى ؟ ولا تاتين ثانية ، هكذا ؟

وتطلعت العينان العطوفتان الى وهو يقول :

— وهل هذا أيضا هو سبب نزولك متأخرة هكذا .

وسبب اختبائك بين الأزهار ؟

— لا ، أنا لا .. ماذا تقصد ؟

•

فقال بلطف :

— يا عزيزتى . ألم تتعلمى بعد أن كل شيء يفعله

أفراد أسرة فالى يصبح أخبارا فى الوادى ؟

فقلت بمراة :

- اننى اتعلم .

وكانت عيناي على السمك وهو يتحرك الى الخلف
والى الامام فى حوض الماء الجميل . وأخيرا تكلم
قائلا :

- انك صغيرة جدا !

- اننى فى العشرين !

فقال بتبصر :

- مدموازيل ، اذا حدث وفكرت فى مغادرة فالى ،
فأين ستذهبين ؟

فحملت فيه عبر لحظة صمت . . هنا ، أيضا . .
انها حقيقة أذن . . لابد أن مدام دى فالى قد قالت شيئا
عن الاستغناء عنى : وقد أتى مسيو فلوريمون العطوف
ليحدثنى عن ذلك . . ويبدو أن علاقتى مع راؤل أصبحت
شغل كل الناس .

لا أدري تماما ما الذى كنت أفكر فيه أنا نفسى
بالنسبة لهذه العلاقة . كنت لا أستطيع أن أرى وراء
حقيقة اننى أحببته وأنه كان هنا الليلة . . أردت أن أراه

وكننت خائفة من أن أراه . . أما عن أحاسيس راؤل
ومهدفه . . أو « نواياه » . . فلم أفكر في ذلك على
الاطلاق !

واستمر فلوريمون في لطفه قائلاً :

– هل لديك أصدقاء في فرنسا ، أم أنت وحيدة هنا
يامدموازيل ؟

– أنا لا أعرف أى أحد في فرنسا ، لا . ولكن دعنا
نكون شرفاء يامسيو . . أنك قلق على لأنهم شاهدوني
بين ذراعى راؤل ، وسيستغفوا عن خدماتى . اليس
كذلك ؟

– ليس تماما . انى قلق لأنك أيضا تحبين راؤل
ياطفلى !

فقلت وأنا غير قادرة على التنفس :

– اذن ، وما الخطأ في ذلك ؟

– ان الذى قلته ، هو أنك صغيرة ، وليس لديك
أحد تلجئين اليه .

– وهل من المستحيل ان أستطيع ان ألجا – كما

قلت بتعبيرك - الى راؤل ؟ هل من المستحيل لهذه
الدرجة أن .. يهتم بي ؟

فاخذ نفسا عميقا وقال :

- أنت وراؤل ؟ .. لا يامدموازيل . ولا ولا ولا !!

قلت بعد برهة صمت :

- الى أى مدى تعرفه ؟

- راؤل ؟ أعرفه بما فيه الكفاية . ليس عن قرب ،
ربما ، ولكن ..

فازداد غضبي وقلت :

- انن ، طالما أنك لا تعرفه بشكل جديد ، فربما
ستفسر ماذا كنت تعنى !

- يا عزيزتى ، لا أستطيع . كان لا يجب أن أقول
ذلك .. لكن .. حسن ، هناك .. أسباب ..

قلت :

- وهو كذلك ، سوف نتركها . لقد حذرتنى ، وكان
هذا لطفا منك . هل لنا أن ننتظر ونرى ؟

فتنفس بعمق ، وقال :

– كنت مخطئا • انك لست صغيرة كما اعتقدت •

واشعل سيجارة اخرى وقال :

– حسن ، لا تنسى ، عندما تقومين بهذا اللجوء ،
ان لديك شخصا آخر تلجئين اليه •

وخفت غضبى ، وقلت وانا ابقسم :

– مسيو فلوريمون ••

– اغفرى لى ، ياطفلتى • انا آسف ان النصيحة
جاءت متأخرة ••

فابتسمت له ثانية وقلت :

– مسيو فلوريمون ، انك ظريف جدا •• ولكن
أجل •• متأخرة جدا !

وجاء صوت راؤل من فوقى :

– وهكذا انت هنا ! كارلو ، لماذا تخفيها في هذا
الركن ؟ •• تبا لذلك ، لقد ظللت أراقب الأبواب طيلة
الساعتين الماضيتين ! عن ماذا كانت هذه المناقشة

الجادة ؟ وما الذى جاء متأخرا كما تقولون ؟

فقال فلوريمون بهدوء :

— أنت ، واحد من المتأخرين ، والآن خذ أنسنة
مارتن بعيدا وأرقص معها ، وحاول أن تعوضها عن
تركها للنظر فى الأسماك الذهبية !

فضحك راؤل وقال :

— سافعل ذلك .. لندا ، تعالى هنا !

ثم قال بصوته الدافئ فى أنفى :

— ياله من وقت طويل .. لماذا تغيبت هكذا ؟

— كنت خائفة أن أنزل ..

— خائفة ؟ يا الهى ، لماذا ؟ أود ، طبعاً هيلواز ..

— انها رأتنا .. تعلم أنت ذلك

— نعم .. عليك أن تتعلمى بالا تكثرش !

— ماذا تقصد ؟

كان قلبى يخفق بعنف ، ودار بى مع الموسيقى ..

فمرت الوجوه المراقبة سريعا .. مجموعة من الرجال
.. وكسرى متحرك ..

ليون دى فالى .. انه كان يراقبنا طبعاً .. وبدأ
كما لو كان ظلاً قاتماً قد مر فوق الألوان المتحركة
بابتهاج .. تبا للرجل ، كنت خائفة منه .. اليس كذلك ؟
وعندما استندرت فى الرقصة وواجهته مرة أخرى ،
تطلعت اليه مباشرة وأعطيته ابتسامة براقية !

كان مندهشاً : لم يكن يوجد شك فى ذلك . رأيت
الحاجبين الاسودين يرتفعان بحدة . ثم أعاد الابتسامة
الى شفثيه وبدأ ضاحكاً .. ولكن كان لدى شعور بأنه
كان يضحك على نكتة لا أستطيع أن أدركها . كان
شعوراً مقبضاً غريباً ..

وعندما انتهت الرقصة كنا عند الجانب الآخر من
الحجرة ، وقف راؤل ساكناً بجانبى ، وبدأ غير واع
بالحملقات الفضولية الموجهة إلينا .. وبدأت الموسيقى
مرة أخرى . فقلت بصوت منخفض :

— اسمع ، ليس عليك أن تقلق من أجلى

فقال ، وهو يلفنى معه فى الرقص ثالثة :

- لا تكونى غبية • لقد قمت بنصيبي من العمل
الليلة ، والله يشهد • لقد رقصت مع كل سيدة عجوز
في القاعة ، هذا بالاضافة الى اننى لم أستطع العثور
عليك قبل ذلك ، والا لكنت قد أهملت واجبى ••

كنا نرقص قرب النوافذ الطويلة المفتوحة على الليل
الجميل •• فقادنى خارجا الى الساحة الامامية ••
وتبعتنا الموسيقى من خلال النوافذ •• وكان قمر عيد
الفصح يسطع علينا • لم نتكلم •• ورقصنا على طول
الساحة ، ثم دخلنا من خلال النوافذ المعتمة الى حجرة
الجلوس الصغيرة ، التى كان لا يضيؤها سوى نار
المدفأة ••

كنا فى الظلال •• فتوقف ، وكانت ذراعاه تحيطانى
باحكام ، ثم قال :

- والآن ••

وعندما استطعت الحديث ، قلت برعشة :

- احبك • احبك • احبك ••

وطبعا ، بعد هذا التصريح الاحمق ، كان من
المستحيل ان أتكلم لبرهة طويلة !

وأخيرا أفلتني وقال :

- حسن ، ألن تصاليني ؟

- أسالك عن ماذا ؟

- السؤال الذى تساله كل فتاة فى العالم : هل
تحبني ؟

- سأكون قانعة بما تريد أنت أن تعطيه لى !

- أخبرتك من قبل الا تكونى متواضعة • لنذا ••
لنذا •• ان أمر الحب هذا •• لا أدرى •• هذا بأمانة
•• لا أدرى ••

- ليس مهما ياراؤل ••

•• بل يهم •• لقد كانت هناك نساء أخريات ••
تعرفين ذلك •• لكن علاقتى بك تختلف تماما ••

ومرت برهة صمت ، ثم ضحك ضحكة صغيرة ،
وقال :

- على كل حال على أن أقول ذلك ، اليس كذلك ؟ •
ولكنه ••• أنه •••

وتحرك وجهه مقابل شمعى • وواصل كلامه :

— لنذا .. انى اريدك .. احتاجك ، باه ، احتاجك
.. اذا كنت تسمين هذا حبا ..

فللت :

— اننى لا احتاج اكثر من ذلك .. صدقنى !
وكانت هناك برهة صمت اخرى ، النار فى المدفأة
تشتمل فى ثبات ، ثم قال فجأة :

— عن ماذا كنت انت وكارلو تتحدثان ؟

— انا .. لماذا ، لا اكاد اذكر .. اشياء ، و ..
اوه نعم ، ثوبى . كنا نتحدث عن ثوبى !

فابتنسم وقال :

— لا تتهرىبى ، اعترفى . تحدثتما عنى . هل حذرك
منى ؟ وقال لك ان تبعدى عنى ؟

— نعم ، انه قال : « انت وراؤل ، لا ولا ولا ! »

— حسن ، اعتقد انه على حق ، الى حد كبير ..
لقد اخبرتك كيف اشعر .. ولكنك : تقولين انك تحبينى .
— نعم ، نعم .. نعم !

فابتنسم :

– ثلاث مرات • انك كريمة جدا ••

– كنت أرد على كارلو •• علاوة على أن لدينا قصيدة في الأدب الانجليزى تقول : • ما اقوله لك مرات ثلاث فهو صادق ••

– اذن ستجازفين ونقبلين الزواج منى ؟

وبدأت أرتدش • وقالت :

– ولكن أباك ••

فتحرك بسرعة وقال :

– أبى ؟ وماله بذلك ؟

– سيفضب • وقد يجعلك تترك بلفين ••

– لا يهمنى •• اننى لست مقيدا به ولا ببلفين ••

وضحك ضحكة غاضبة وهو يقول :

– وهل انت خائفة ان تضـعـرينى وتسيئى الى

وضـعـى ؟ وثروتى ؟ هذا مدهش ! هل تعرفين أننى

لا أملك شيئا سوى بلفين •• وهذه أيضا فقط الى أن

يحصل فيليب على فالى ؟

- نعم ..

- ومازلت ستقبلين أن تتزوجيني ، بدون ثروة ؟

وضحك :

- حسن ، لا حاجة لك أن تقلقى ازاء ذلك ...

غبشکل او بآخر ، سوف يكون لى مال دائما ..

فقلت :

- مغامر ، هذا هو انت !

وتطلع الى وجهى وقال :

- الست انت كذلك أيضا ؟

فقلت ببطء :

- نعم . اعتقد انى كذلك .

ومرت برهة صمت ، ثم قلت :

- هل يجب علينا .. أن نخبرهم ؟

- لم لا ؟ هل هذا يحتاج الى شجاعة أكثر من

اللازم ؟ .. سأخبرهم بنفسى .. وابتعدى انت عن هذا الأمر !

— سوف يغضبون جدا .. على كل ، فانا كنت
سأطرد على أية حال . كنت متوقعة أن أخطر بقرار
طردى غدا ..

— تطردين ؟ لكن لماذا ؟ ما هو الجرم ؟

لفظرت اليه بابتسامة صغيرة وقلت :

— أنت !

— هل تعنين لأن هيلواز راتك وانت بين ذراعى ؟
هل ستطردين من أجل ذلك ؟ .. كلام فارغ !

— انه حقيقى .. لقد قالت البرتين لكل شخص في
القرية .. انها تعرف ما تنوى المدام أن تفعله .

— حسن ، لا يهم ذلك الآن ، اليس كذلك ؟ على
أية حال ، انا متأكد أنك مخطئة . هيلواز لن تعمل مطلقا
على أن تدعك تذهبين .

— بالفعل ، فانا استغرب هذا التفكير ، بسبب
فيليب .. انا .. حسن ، لقد أنقذته في الوقت الذى كان
أن يسقط من الشرفة ..

— أى وقت ؟ ما الذى تحدثين عنه ؟

فقلت له ياندهاش :

- ألم تعرف ؟

وأخبرته بالقصة .. وأنصت في صمت وبوجه عابس : كان هناك تعبير في عينيه لم أستطع قراءته .

وأخيرا سحبني وأوقفني على قدمي وقال :

- حسن يا حبي ، دعينا نحتفل .. دعينا نذهب ونحضر قليلا من الشمبانيا !

فقلت :

- وبعض الطعام ..

كانت حجرة الطعام العظيمة حية بالناس والحديث .. وعندما وصلنا الى المائدة الكبيرة المتلألئة بالصحون الفضية ، تذكرت شيئا ، فقلت له :

- راؤل ، وعدت أن أصعد وأرى فيليب .

- فيليب ؟ لماذا ؟

- أعتقد أنه شعر بعزلته عما يحدث من أمور .. على أية حال ، لقد وعدته أن أصعد « في منتصف الليل » .. أعتقد يجب أن أصعد الآن !

- انن ، فانا اصر على الصعود ايضا ٠٠ لماذا
لا نكسر بعض القواعد الأخرى ونأخذ بعض الطعام الى
الطابق العلوى ؟ ٠٠ وبذلك سيفرح فيليب ونحتفل نحن
في نفس الوقت ١٩

- أوه ، راول ، انها لفكرة مذهمة ! دعنا نقوم
معنا نقوم بذلك !

- سوف أقوم بتجميع بعض الأطعمة والمشروبات ،
ماذا تفضلين ١٩

قلت ببساطة :

- أى شيء .

وتطلعت مرة أخرى الى المائدة وقلت :

- اننى لم ار مطلقا أى شيء بهذه الروعة ، فى
حياتى !

كان يتطلع الى وهو يسألنى :

- هل تقصدين ان تقولى انك لم تحضرى حفلة
واقص من قبل ؟

— بهذا الشكل ؟ .. مطلقا !

فقال :

— من شيعة المراء النصيبان .. واعتقد أنك لم
تتذوقى الشمبانيا أيضا .. حسن ، سوف تتذوقيلها
الليلة يمكنك ان تصعدى ، الآن ، الى فيليب ، وساتبعك
بما لذ وطاب ..

الفصل الرابع عشر

كان فيليب مستيقظا . فعندما دخلت بهدوء الى حجرة نومه ، وجدته جالسا في فراشه ومصبوبا عينيه نحو الباب ٠٠ وكانت المدفأة ، التي كانت من المفروض أن تخبو منذ ساعات ، مازالت تشتعل بتوهج ٠٠ وكانت الستائر مسحوبة ، وشعاع عريض من ضوء القمر يسقط عبر الحجرة على السرير ، وقال فيليب :

— لقد تأخرت كثيرا !

— انك قلت عند « منتصف الليل » ، تذكر ٠٠ اننا الآن في منتصف الليل تماما !
فنظر الى مسرورا وقال :

— منتصف الليل ؟ حقيقى ؟

— ما الذى جعلك مستيقظا بهذا الشكل حتى هذه الساعة ؟

ورأيت فنجان الشيكولاته لم يمس ومازال فى مكانه على المنضدة بجانب السرير . فقلت له :

— اوه .. اهكذا ؟ انك لم تشرب الشيكولاته .. ألم تشعر بالنعاس ؟

— شعرت ، ولكن انشغالى بالحفاظ على اشتعال المدفأة جعلنى يقطا .. و .. انا خائف الآن ، ولا أستطيع أن أنام !

— خائف ؟ لماذا ؟ ماهو الأمر ؟

وجلست على فراشه ، فقال :

— لقد رأيت أحلاما سيئة !

— اوه ياعزيزى ، ياله من شيء بغيض ! أى نوع من الأحلام السيئة ؟!

فقال فيليب :

— ناس يدخلون ويتحسسوننى ..

فانتابنى الذهول . ولكنى قلت بابتهاج :

- أوه حسن . انها مجرد أحلام ، على كل حال .
والآن اسمع مسيو الكونت . . طالما أنك لم تنزل للعشاء
في الحفل ، فهل تحب أن يأتى العشاء اليك !

- العشاء ؟ ولكنى قد تعشيت !

فقلت :

- كان هذا منذ ساعات ، كما اننى لم اتناول
عشائى بعد ، فما رأيك أن تستضيفنا أنا وابن عمك راؤل
على وليمة في منتصف الليل ؟

- وليمة في منتصف الليل ؟ أوه ، آنسة مارتن !

ثم بدت عليه الريبة ، وتسائل :

- هل قلت ابن عمى راؤل ؟!

وفتح الباب بهدوء ، ودخل راؤل حاملا زجاجتين
ويتبعه واحد من الجرسونات المؤجرين بصينية .

فقال فيليب :

- اذن ، فهى وليمة منتصف الليل حقا ؟

فقال راؤل وهو يفتح الزجاجاة ذات الغطاء الذهبى:

— بالتاكيد !

وانفتح الغطاء مصدرا صوتا كصوت المسدس .
واضاف قائلا :

— وليمة سرية بجانب المدفأة وضوء القمر !

وسكب قليلا من الشمبانيا .. فقفز فيليب خارج
الغراش ، وقال :

— هل هذا عصير ليمون ؟

— ليس بالضبط ، ولكنى احضرت لك عصير ليمون
حقيقيا !

وملا كوبا طويلا بالعصير الأصفر من الزجاجاة
الأخرى ، وناولها لفيليب ، وقال :

— والآن نشرب .. قف يا فيليب ، اقرع كوبك في
كوبى .. والآن في كوب الأنسة هارتن .. اننا نشرب
نخب سعادتنا !

وعندما رفعنا أكوابنا ، كانت نيران المدفأة تتراقص
في مشروبنا الذهبى .

وحتى بدون تأثير الشمبانيا ، فالوليمة كانت رائعة
٠٠ لقد قام راؤل بمحاولة طيبة باحضار « كل شيء » ،
٠٠ وقدم طبقا وراء طبق من الأطعمة الجميلة ، اللذيذة
ذات مذاق جميل في نفس جمال مظهرها ٠٠ واكلت انا
وفيليب والسعادة تشملنا ، بينما جلس راؤل بجانب
المدفأة يدخن ويحتسى الشمبانيا ، وقلت :

— ان هذا لرائع ، واذا جاءك يافيليب حلم سيء
بعد هذا ، فصوف تستحقه !

فقال راؤل :

— اظن انه قد نام بالفعل .

وتطلعت الى فيليب الذي كان متكورا على السجادة
٠٠ ووقف راؤل ، وقال :

— هل رأى احلما سيئة ؟

— انه يقول ذلك ٠٠ يقول ان اناسا ياتون
ويتحسسونه وكان خائفا .

وبدا على راؤل التفكير والاهتمام ، وحمل الطفل
من فوق السجادة ٠٠ كان بجانب الحجرة حيث نجلس
في ظلام دامس ، لا يضيؤه سوى ضوء المدفأة الواهن ،

ويسقط من خلفنا شعاع من ضوء القمر الأبيض عبر
السجادة • حمل راؤل الطفل النائم الى فراشه • كان
على وشك أن يخطو الى شعاع الضوء ، عندما سقط
ظل جديد عبر السجادة ، ثم توقف في شعاع القمر
نفسه ..

استدار راؤل متارجحا ، ووجه فيليب ، الأبيض
في ضوء القمر ، يتأرجح على كتفه •

وسمعنا صوت هيلواز دى فالى وهى تقول بحدة
وعنف :

— راؤل !!! ماذا تفعل هنا ؟ ماذا فى الأمر ؟!

فقال ببطء :

— لا شيء !

— ماذا ؟ فيليب ؟ •• ماذا حدث له ؟

— يا عزيزتى هيلواز •• لا شيء على الاطلاق ••
انه نائم !

كانت ممسكة بالسستارة باحدى يديها ، واتجهت
الآخرى الى قلبها بحركة قد شاهدها من قبل ••

وأعتقدت أنه من الأفضل أن أظهر نفسي ، فنهضت
واقفة .. ولفت نظرها حركة ثوبي الأبيض في الظلال ،
فاستدارت مصدرة صرخة صغيرة وقالت :

— أنت هنا ؟ ما الذي يجري ؟ هل حدث مكروه ؟

فابتسم راول وقال :

— وليمة سرية ، هذا كل شيء . كان فيليب يشعر
بالحرمان من عدم المشاركة في الحفل ، فحاولنا أنا
والآنسة مارتن أن نشركه . ولقد نام لتوه ..

تطلعت هيلواز دى فالى حولها ، فسقطت عيناها
على الصينية عند المدفأة ، مع الزجاجتين . والأكواب
الفارغة والصحون الفضية ، فقالت في اندهاش :

— تقصدان وليمة حقا ؟

**قال راول وهو يسحب اغطية السرير فوق جسم
فيليب :**

— بالطبع . دعيني آخذك الى تحت ثانية يا لندا !

تحت ؟ .. انني لم أستطع مواجهة كل تلك النظرات
الفضولية .. لذلك فقد قلت وأنا أشعر بشيء من
الخجل :

- لا ، شكرا لك . ساذهب الى فراشى الآن .
تصبحين على خير يامدام . شكرا لك على الرقص .
انها كانت ليلة . . لقد استمتعت بالحفل جدا .

كان وجه المدام عديم اللون في ضوء القمر . انها لم
تكن مطلقا بهذا الجفاء وهذا التبعاد ، عندما قالت :

- تصبحين على خير يا آنسة مارتن .

واستدارت وذهبت . وعندئذ سألت راؤل :

- هل ترى ياراؤل ؟ انها تنوى طردى بالفعل .

كان ناظرا وراء هيلواز ، عندما اجاب :

- من الأفضل ان اتركك الآن !

اغلق الباب من خلفه ، و سمعته يمشى مهرولا في
الممر وراء هيلواز ، وكأنه يريد اللحاق بها .

وفي الصباح التالي ، احضر لى برنارد رسالة الى
حجرة الدراسة عند موعد الافطار . بدت كأنها قد كتبت
على عجل ، فقرأت :

عزيزتى ،

لا أستطيع البقاء اليوم كما كنت امل . وجدت انى
يجب ان اعود الى باريس . اغفر لى ، وحاولى

الا تقلقى بخصوص أى شيء • اذا كان لديك امر عاجل
تريدين أن تخبرينى به ، فيمكنك الاتصال بى تليفونيا
بشقتى ، التى أشتريك مع صديق لى فيها • الرقم هو
٦٧٠٤٣٢١

• ساعود صباح الخميس •

المخلص

«راؤل»

طويت الرسالة بيدين غير ثابتين ، ورفعت بصرى
الى برنارد المنتظر • كان يراقبنى باهتمام بعينيه
السوداوين القاسيتين ، فسأله :

— هل رحل مسيو راؤل بالفعل ؟

— اوه ، نعم يامدموازيل • لقد رحل بسيارته
ليلحق الطائرة المبكرة الى باريس •

وعندما خرج برنارد من الحجرة تعجبت مرة اخرى
ما الذى ترى فيه بيرث الصغيرة الجميلة •

• بدا اليوم طويلا • شعرت بالوحدة بشكل غريب •
• لقد ذهب راؤل ، وفلوريمون رحل ايضا بعد الافطار •

وعندما كنت أنا وفيليب في الخارج نقوم بجولة بعد الظهر المعتادة ، زمجرت سيارة وولت مارة بنا . كان يقودها وليم بليك ، الذي لوح لى بيده بابتهاج ، فرددت عليه بتلويح يدي بشفف ، حتى أن فيليب بدا عليه الاندهاش ، فقال :

— هل هو صديق عزيز عليك ؟

فقلت :

— انه انجليزى !

وعند دخولنا عاندين تقابلنا مع ليون دى فالى في الساحة ، فقال :

— آه ، فيليب . مساء الخير يا أنسة هارتن .
هل عدتما توا من جولتكما ؟

وابتسمت ، ولم أستطيع أن أرى أى أثر لفتور في وجهه . يقينا لو كان سيطربنى لما بادر بالقاء التحية علينا بهذه الطريقة اللطيفة !

والتفت الى فيليب ، وقال :

— وكيف حالك اليوم . بعد الاشارة التى حدثت ليلة أمس ؟

فقال فيليب بعصبية :

- اشارة ؟

- لقد أخبروني بوليمة منتصف الليل التي
اقمتوها .

فقلت بمثل عصبية فيليب :

- هل تمنع ؟ ؟

- يا عزيزتى ، لماذا أمانع ؟ يا آنسة مارتن أننا
نترك فيليب تحت رعايتك وتصرفك ، كان عطفاً منك أن
تفكرى في الطفل في وقت مسرتك الشخصية . اتعشم أن
تكونى قد استمتعت بالرقص ؟

- نعم ، أوه نعم ، بالفعل ! كانت ليلة مذهشة !

- أنا سعيد أن اسمع هذا . أخشى أن تشعري
بأنك غريبة بيننا ، ولكنى أحسب أن راول تعهدك واهتم
بك !

لم يكن في صوته الدمت الا استعلام مؤدب ، فقلت :

- نعم ، شكراً لك ، لقد فعل . وكيف حال المدام
الآن ؟ انها ليست مريضة ، اليس كذلك ؟

- أوه لا ، مجرد تعب . سوف تظهر في الحفل

الراقص بالقرية الليلة ، لذلك فهي تأخذ قسطا من الراحة الآن .

— اذن ، فهي لن تنتظرننا في حجرة الجلوس اليوم كالمعتاد ؟

فابتسم قائلا :

— لا ، اعتقد انك لا تستطيعين أن تلتقي بها ، لكن يمكنك أن تلتقي بى بدلا منها !

فتصلب فيليب ، ولكنى قلت :

— كما ترغب يامسيو . . في المكتبة !

فضحك قائلا :

— لا ، لا . . سأجنب فيليب ذلك . حسن . لا تدعيني أعطك . .

واستدار الكرسي المتحرك ، وابتعد . . وركض فيليب أمامى الى الباب الجانبى ، ارتياح سعيد . .

كانت أحاسيسى مثله أيضا . . اذن ، من الواضح عدم وجود أى فكرة للاستغناء عنى ، لقد كانت كلها من تخيلاتى الغبية !

الفصل الخامس عشر

مضت بقية اليوم ببطء ، ووضعت فيليب في فراشه مبكرا ، وعندما انتهى من شرب فنجان الشيكولاته ، ذهبت ممتنة الى فراشي .

لا اذكر كيف استيقظت . يبدو ان ذلك حدث بعد نوم عميق ، فادرت وجهي على الوسادة وتطلعت بعينين جاحظتين نحو الباب . لم استطع ان ار شيئا ، لكنني سمعت الباب وهو يغلق بهدوء ، ثم سمعت خطوات خفيفة تتحرك عبر السجادة نحو السرير . . .

ولامس السرير شيء ما . . . وسمعت تنفسا ،

وبينما كنت أحاول إضاءة النور الملائق للسرير ،
جاءني همس مخيف :

- لا تضئىء النور ! .. أنا بيرث يا آنسة .

- بيرث ؟ ماذا حدث ؟ فيليب ؟ هل حدث أى
مكروه لفيليب ؟

- لا ، لا ! لكنى فكرت أن احضر اليك لأخبرك ..

وانفجرت في البكاء وجلست على طرف السرير ..
فتسللت من فراشى وأغلقت الأبواب بالمفتاح .. ثم
أضأت النور الملائق للسرير .. وجلست بيرث واضعة
وجهها بين يديها ..

جلست بجانبها ووضعت ذراعى حولها قائلة :

- ماذا فى الأمر ؟ هل حدث شئ وقت الرقص ؟

فأقلت بصوت منخفض متعجل :

- أنك تعرفين أننى سأتزوج من برنارد ؟ حسن ،
لقد أخذنى الليلة الى الرقص ، وبدأ .. أوه ، أنه كان
مخمورا يا آنسة ، وبدأ .. أنت تعرفين ..

- أعرف ..

واستمرت قائلة :

— وفي طريقنا الى البيت بدأ يتكلم • كان يتفاخر بما سنفعله عندما نتزوج ، فقال ، سيكون لدينا مال ، مال وفير . وسنشترى مزرعة • كان يتحدث بطريقة عنيفة وهو مخمورا تماما لدرجة اننى خفت • واخبرته بالا يكون عبيطا أو سادجا فمن أين لشخص مثله ان يحصل على مال يشتري به مزرعة ، وعندئذ قال

— نعم ، ماذا قال؟

— قال : سيكون لدينا مال وفير فيما بعد ، عندما فيليب •• عندما فيليب

— نعم ، عندما فيليب ماذا ؟

فقالت بيرث :

— يموت ••

— استمرى !

— قال ان مسيو دى فالى قد وعده بالمال عندما يموت فيليب ••

— بيرث ! تقصدين •• انه يخطط لـ •• لـ ••

— نعم يا أنسة !

صمت .. واستطعت أن أرى العرق يتصبب على وجهها .

كان هذا كلاما فارغا .. انه لن يحدث .. فالقتل شيء يحدث في الكتب ، لا بين أناس نعرفهم جيدا .. ولكن جزءا من عقلى كان يعرف أن هذا حقيقى .. ولقد كان يعرف ذلك من قبل . فقلت بهدوء :

— فيليب سيموت فيما بعد ، أقال ذلك ؟ فيما بعد متى ؟

— برنارد قال قريبا .. جاءت برقية مبكرا هذا الصباح من مسيو هيبوليت ، يقول انه قادم للبيت .. وسوف يكون هنا غدا مساء ، ولذلك لابد أن يقوموا بذلك فوراً . لقد حاولوا من قبل ، يقول برنارد ، ولكن ...

— حاولوا ؟ من هم ؟

— عائلة فالى .. مسيو ومدام و ...

فقلت :

— لا ! لا ! ..

فقالت بيرث :

— نعم يا آنسة .. مسيو راؤل !

— لا أصدق هذا ، لا أصدق هذا !!! .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقي !! لا يمكن !! أعرف ذلك .. بيرث ، هل تسمعينني ؟! .. أنه بساطة غير حقيقي ..

ولم تقل شيئا ، ولكنها أشاحت بوجهها ..

لن أصف أفكارى وأحاسيسي خلال الدقائق القليلة التالية . انها موجعة جدا لى حتى الآن .. واستطعت بعد وقت أن أفكر بشكل معقول نوعا ما ، وأدركت أن أهم ما فى الموضوع هو فيليب نفسه .. وتكلمت بصوت ميت ، حتى اننى لم أدرك أنه صوتى :

— انا لا أقول انى أقبل ما يقوله برنارد ، ولكن ... حسن ، أريد أن أسمعه .. تقولين : « لقد حاولوا من قبل ، .. أعتقد أنك تقصدين الطلقة الفارية فى الغابة وأفريز الشرفة المخلوع ؟

— نعم !

أذكر وجه مدام دى فالى عندما عدنا أنا وفيليب من الغابة فى ذلك اليوم : كان شاحبا ومتوترا ، كما لو

أنها قد رأت شيئاً فظيعاً ٠٠ وفي ليلة الشرفة المكسورة :
لم تصعد للطابق العلوي لتأخذ الدواء ، ولكن لترى
ما قد حدث ٠٠ ولابد لليون دى فالى أن يكون قد سمع
صوت الارتطام من الساحة الأمامية ٠٠ فقلت :

— من أطلق النار ؟ برنارد نفسه ؟

— لا ، كان هذا مسيق راؤل !!

— انه يكذب ٠٠ لابد انه أطلق النار بنفسه ، و ٠٠٠
ولكن هنا رأيت وجهها ، فتوقفت ، وأدركت أنها لابد
تحس نفس احساسى السيئ ، فقلت :

— اوه ، أنا آسفة يا بيرث ! حسن ، يمكن أن نقرر
فيما بعد من مذنب ومن ليس مذنباً ، أما في الوقت
الحاضر فمن الأحوط أن نفترض أن الجميع مشتركون
في المؤامرة ٠ كان راؤل بالتأكيد في الغابة في ذلك اليوم
٠٠٠ لقد قال ذلك هو نفسه ٠ ثم صوت نفير الكاديلاك
في المنعطفات ٠ وذلك كان لجعل فيليب يخرج ليلقى
حرقه ؟

— لا أدرى عما تتحدثين يا آنسة ٠ برنارد لم يقل
أى شيء عن النفير !

— أوه ؟ حسن ، لا تهتمى بذلك .. يجب أن نفكر
ماذا نفعل ؟

أولا ، كان على أن أرتب افكارى . حاولت أن أنظر
للأمر كله بهدوء وبمنظام ، منذ وقت ارسال فيليب الى
فالى من قبل هيپوليت الذى لاشك فى أمره ..

وكانت أول خطوة هى التخلص من الشخص الوحيد
القريب من فيليب ومحل ثقة هيپوليت .. مربية الطفل !

وكان لابد من شخص آخر يحل محلها ، فكنت أنا
الشخص المثالى ، فتاة بدون أقارب أو أصدقاء قد
يساعدونها فى حالة وقوع أى مشكلة . فماذا سيكون
أفضل من فتاة يتيمة وأجنبية أيضا ؟ إذن لقد كانت
غريزتى فى اخفاء أصلى الفرنسى على حق بالفعل !

وهكذا عثروا على وأحضرونى الى فرنسا . ولقد
سمعوا لى أن أستقر فى فالى . ثم تمت المحاولة ،
وبمحض الصدفة ، فشلت : ولم تصب الرصاصة فيليب
.. وكانت المحاولة الثانية أقل تعمدا ، ولكنها أيضا
أقل خطرا : لقد تم كسر أفريز الشرفة وتركه مغلخلا ،
وجاهزا للمرة التالية التى يندفع فيها فيليب خارجا
الى ذلك الركن .. وهذا « الحادث » فشل أيضا ، بسببى
.. وإذا كانت أى محاولة من هاتين المحاولتين قد

تجحت ، فلن يكون هناك أى شك فى جريمة قتل ...
وبالتأكيد ، الشخص الوحيد الذى يمكن أن يعتبر مذنباً ،
كان هو ليون دى فالى نفسه . وكانت الناس ستتحدث
عن « المأساة الفظيعة » ثم ينسونها . . . ويكون ليون قد
امتلك فالى ، فهو محترم بشكل زائد وصاحب أملاك
ممتاز ، ولاشك أن أهالى المنطقة سيقنعون . . . وقالت :

— والآن يابيرث ، ماذا بعد ؟ ماذا سيحدث هذه
المرة ؟

— لا أدرى . . . ولا أعتقد أن برنارد نفسه يعرف .
أعتقد أنها لن تكون مهمته هذه المرة . . . لكن لابد من
التنفيذ بسرعة ، لأن مسيو هيبوليت قادم . لقد وصلت
البرقية مبكراً هذا الصباح ، وبالفعل أزعجت السيد
جدا . . .

وتنفست شهيقاً حاداً ، وقالت :

— وسىأتى هيبوليت غدا ؟ اليوم يابيرث . أنه
اليوم ، هل تدرकिन ذلك ؟

— لماذا ، أوه نعم ، أنه كذلك . . . فالساعة الآن
تقترب من الواحدة . . . ولكن لا أدرى متى سيحضر
مسيو هيبوليت الى هنا . أعتقد أنه لن يكون قبل المساء
. . . الى أين ستذهبين ، يا آنسة ؟

• لاتأكد من ان فيليب على مايرام •

وركضت بخفة عبر الحمام الى حجرة نوم فيليب ،
وانحنيت فوق السرير ، وسمعت تنفسه المنتظم • وعدت
تاركة الأبواب الفاصلة مفتوحة . ودخلت الى الفراش
مرة أخرى •

• نعم ، انه نائم •• لكنك تعلمين ان محاولة أخرى
ستتم اليوم ؟ والآن ، تقولين انه 'ن يكون برنارد ••
ومسيو راؤل قد ذهب الى باريس ، وبالتالي فلا يمكن
ان يكون هو • وأنا على يقين ان مسيو دي فالى سوف
يبعد نفسه عن ذلك ، وهكذا لن يبقى سوى المدام ••

فألت بيرث :

• هل أنت متأكدة ؟

• انها هي المدام ؟ بالطبع لا •• ولكن •••

• هل أنت متأكدة ان مسيو راؤل قد ذهب الى
باريس ؟

فحملت فيها ، وقالت :

• ماذا ؟ تقصدين •• انه ربما لايزال هنا في مكان
ما •• مختبئاً ؟ لكن سيارته قد ذهبت !

— نعم ، انه رجل • انا رأيته • ولكن يمكنه ان يرجع ••

— اوه يا الهى •• ولكنك تعرفين ، لا يمكن ان اصدق ان راول مشترك في هذه المؤامرة بالفعل • واذا كان كذلك ، فلماذا يقيم علاقة معى ؟ فبالأكيد ان ذلك خطر وغير ضرورى ؟

فكالت بيرث باندهاش :

— ربما ، لم يستطع ان يقاوم ، فانت جميلة جدا ، اليس كذلك ؟ والبرتين تقول انهم عندما كانوا في باريس سمعت ••••

— ان البرتين تسمع كثيرا ، اليس كذلك ؟ ولكنى لا اعتقد ان راول مثل ذلك ••

— حسن يا انسة ، اذا كان هو •• قد ارتبط بك ، وهذا ليس من الحيلة ، فربما كان ذلك سبب ضيق العبد والمدام ••

— اعتقد انهما كذلك في البداية ، ولكنهما غير متضاميين الآن • قابلت المسيو بعد ظهر اليوم ، وكان لطيفا معى جدا •

- أوه ، ولكنهما كانا متضايقين يا أنسة . البرتين
قالت أنهما سيطردانك .. قالت أنهما كانا حانقين عليك
جدا .

- ولكن هذا لا يعقل يا بيرث ! ان علاقتى مع
راؤل توطدت جدا ، وطلب منى ان أتزوجه !

- نعم ، أعرف . كل امرئ يعرف . البرتين
أخبرتنا ..

وسكتت لمدة ثوانى ، ثم قلت :

- حسن ! حسن انن ، لابد ان المسير والمدام قد
عرفا .. ومع ذلك ، عندما رايت المسير اليوم ، كان
لطيفا جدا معى ! وفى ذلك الوقت ، كان قد وصلته برقية
هيبوليت

ثم قلت ببطء :

- هو والمدام كانا غاضبين منى من قبل ، أعرف
ذلك .. واعتقد أنهما كانا يخططان على طردى .. لكن
برقية هيبوليت غيرت كل ذلك . كان عليهما أن يقوما
بخطئة جديدة وبسرعة ، وتلك الخطئة تشملننى .

وبعد صمت طويل ، قالت بيرث ببطء :

— ربما يريدان أن يتأكدا من أنك ستظلين هادئة ،
إذا ارتبت في أي شيء .

— يا الهى ! بالتأكيد انهما لا يمكن أن يتخيلا أنني
ارتاب في مقتل طفل ، وأسكت ولا أفعل شيئا بخصوص
ذلك ؟

— ولكن إذا كنت سوف تتزوجين راول ، وكل
شخص يعرف

وتوقفت ، ثم اضافت قائلة :

— اذ مات فيليب ، فستكونين كورتيمة فالى يوما
ما . وإذا كانت البرقية جاءت فعلا قبل حفلة الرقص ..

— وماذا تقصدين ؟ . هل تقصدين انهما قد اعطيانى
حبراً للمقتل ؟ وانهما لا يمكنهما أن يفامرا « بحادث »
آخر ، بدون وجود شخص يقع عليه اللوم ، في حالة
حدوث خطأ في الأمور والقاء الناس بالأسئلة ؟ هل هذا
ما تقصدين ؟

فقالت بيرث ببساطة :

— هل هناك أي سبب آخر ليطلب منك أن تتزوجي
منه ؟

فقلت :

— هل هناك أى سبب آخر فعلا ؟

وقمت لألقى نظرة أخرى على فيليب . انه لا يزال نائما فى سلام . كان المنزل هادئا . وعدت الى بيرث .
وقلت :

— اظنك تدركين أن أقل وقت يمكن أن يحدث فيه
أى شيء هو الليلة ، الآن ؟ . فكل امرئ فى القرية
بحفلة الرقص ، فيماعداء مسز سيدون . ومسيو دى
فالى . فالمدام ذهبت الى هناك . اليس كذلك ؟

— نعم ، ولكنها لابد انها غادرت القرية الآن ، فهي
لا تبقى طويلا هناك أبدا . وبرنارد هنا . لقد أوصلىنى
بالسيارة الى هنا . انه نائم الآن فى حجرتى . اوه ،
كان امرا مفزعا ، الركوب معه مارين بالمنعطفات ، وهو
لا يزال مخمورا .

— اسمعى يا بيرث ، هل تبقين مع فيليب حتى اذهب
واتصل بالشرطة تلفيونيا ؟

- لا ! لا يجب أن تذهبي الى الشرطة !

- ولكن يا فتاتي العزيزة . . .

- لقد جئت لأبلغك ، لأنك كنت طيبة معي . لم أرد أن تدخل في أية مشاكل ، لكن لا يجب أن تخبري أي امرئ عن برنارد ! يمكنك أن تهربي إذا كنت خائفة !
فنظرت اليها باندهاش وقلت :

- أهرب ؟

- إذا كان ما قلناه حقيقيا ، ومن المحتمل أن يتهموك بالقتل !

- ولكن يا بيرث ، لا يمكن أن تكوني جسادة في اقتراحك هذا . . . أهرب وأترك فيليب لهم ؟ لا ، سأتصل بالشرطة الآن ؟

- إذا بلغت الشرطة ، فسيأتون ويقابلون السيد . . . وسوف يصدقونه هو ، لا أنت !

- ربما . . . ولكن ذلك سوف ينقذ فيليب .

- ولكن ماذا تظنين سيحدث لي ؟ وبرنارد ؟

واسرتى ؟ ولقد عمل أبى عند عائلة فالى طيلة حياته .
فاين يذهب عندما يطردوه ؟

فقلت :

— حسن جدا . سأغلق فمى ولن اتكلم . والآن .
من الأفضل أن تذهبى يا بيرث . . . شكرا لك على قدومك .
وابلاغى .

وذهبت . . . وتركتنى وحدى مع الظلال

الفصل السادس عشر

كانت هناك خطة واحدة فقط قد تضمنت نجاة فيليب :
يجب أن يبعد عن متناول ليون دى فالى ، ويختبئ حتى
تأتى المساعدة !

ليس هناك دقيقة واحدة للاستغناء عنها ، فالختم
على وشك المجيء من الرقص ، وعلى أكثر تقدير بين
الثالثة والرابعة . وإذا كان ولا بد من القيام بمحاولة
لذلك هذه الليلة ، فلا بد أن تتم الآن على الفور .

واتجهت لارتداء ملابسى ، عندما سمعت صوتا من
الممر . وبالرغم من أننى قد تصننت عليه ، لم أتبين فى
البداية صوت من هو . همس حاد رفيع . لا بد أنه

أعطى إشارة تحذير لعقلي ، لأن يدي تحركت الى الضوء الملاصق للفرش وأطفأته ، في الوقت الذي فتح باب فيليب بسرعة جدا . فعرفت عندئذ ما هي تلك الهمة الحادة . . الكرسي المتحرك .

بقيت في مكاني كما كنت ، متجمدة ، وأحدى يدي مازالت على الضوء . كنت أتنفس بصعوبة . ولو كان قد صدر أى صوت من الحجرة الأخرى لكنت قد انطلقت الى هناك كطلقة البندقية ، ولكن الكرسي المتحرك لم يتحرك من مكانه . وبقيت ساكنة ومنقطرة .

لا شيء . . لا حركة . . وبعد برهة ، أغلق الباب مرة أخرى بلطف شديد . . وسمعت صوت عجل الكرسي في المرة أخرى .

واعادنى الخوف ثانية الى سريرى . وعندما فتح باب حجرة نومى ، كنت راقدة بهدوء ، وأغطية الفراش من فوقى وحول رقبتى . .

انه لم يدخل . . انتظر فقط هناك في صمت . . . وامتدت الثواني وأصبحت كالسنين . .

لقد ذهب .. وأغلق الباب من خلفه بلا أدنى صوت
.. وسمعت صوت عجل الكرسي المتحرك وهو يتلاشى
في الممر ..

وبعد ذلك بثوان ، سمعت صوتا خافتا للمصعد .
لقد كان يتم علينا ويتأكد من أننا في فراشنا ، وكان هذا
كل شيء . ولكنه أفصح لي أيضا عما كنت أحتاج
لمعرفته : كانت القصة حقيقية .

والى حد ما عادت السكينة الى ثانية . فأغلقت
الباب بالمفتاح ، ثم أغلقت الستائر وأضأت النور ..
وارتديت ملابسى بسرعة ، والتقطت معطفى وحذاءى
المتين ، ومررت من باب الحمام الى حجرة نوم فيليب .

كانت الحجرة بها ضوء كاف ، فالستائر الطويلة
مفتوحة قليلا ، ومن بينها يسقط ضوء القمر في خط
ساطع عبر السجادة ، تماما مثلما كان في الليلة الماضية
.. أغلقت الباب بالمفتاح ثم أحكمت إغلاق النافذة ..
وكان فيليب من خلفى يصدر صوتا خافتا في نومه ،
ونظرت من فوقى كتفى نحو الفراش .

رايت ظلا غريبا ، فاستدرت في جزع مفاجئ ..
لقد جاء شخص كان يسير بطول الشرفة ، وكان يحمل
في من خلال الفتحة التى بين الستائر .. فوقفت هناك

أشـمـاع ضـوء القـمر ، غـير قـادـرة عـلى الحـركـة ..
وتطلعت أمامي في عيني هيلواز بي فالمي !

لم تبد أي دهشة لوجودي .. مجرد أنها اخذت
تدفع النافذة ، وكأنها كانت تتوقع أن تجدها مفتوحة .

كان من الصعب على أن أرفض ادخالها ، ففتحت
النافذة ، وأنا أفكر كيف كنت سأفسر حقيقة وجودي
متيقظة ومرتدية ملابس في الواحدة والنصف صباحا ،
وقلت بكل برود أقدر على اظهاره :

— مساء الخير يامدام .

ولم تعرنى أي التفات ، ولكنها مشيت بهدوء الى
داخل الحجرة ، ووقفت بالقرب من رأس السرير وتطلعت
الى الطفل النائم .. ثم مدت يدها ببطء شديد ،
لتحسس على وجهه .. أنها كانت لمسة رقيقة ، حركة
لا معنى لها .. ولكني أدركت شيئا ! هذا هو حلم فيليب
السيء . لقد حدث هذا من قبل !

وتحدثت اليها عبر السرير :

— ما هذا يامدام ؟! ماذا تريدین ؟!

ولم تجب .. وبدأت أنا أزمجر حائقة ، ثم توقفت
متحيرة ، أراقبها ، ماذا ستفعل ؟

لقد اتجهت نحو المنضدة الصغيرة التى بجانب
السريـر . وتحركت يداها عندئذ فوق الأشياء المختلفة
التى على المنضدة . . . أبجورة ، كتاب الفئجان الذى
كان فيه شيكولاتة فيليب ، عسكـرى دمية . . . وكانت يداها
تتحرك بطريقة عشوائية غريبة ، وقبضت على الفئجان
ثم رفعتـه ، فقالت :

— مدام دى فالى

فاستدارت عندئذ كان وجهها عديم التعبير ،
لا يفصح عن شيء ، وكانت عيناها خاليتين من الانفعال
وإثناء تطلعى إليها ، سرت فى كل جسمى قشعريرة
خوف . .

كنت العينان المفتوحتان ، مثل اليدين المتحركتين
برقة . . . لقد كانت تمشى وهى نائمة !! فالألق الذى
يثقل على عقلها جعلها تمشى وهى نائمة خلال الليل
الى حجرة فيليب !! هل يمكن أن اجعلها تتكلم ؟
فقالت :

— هيلواز دى فالى ، ردى على . . كيف ستقتلين
فيليب !!؟

لم تبد أى انتباه ٠٠ ووضعت الفنجان على المنضدة ،
واستدارت نحو النافذة ٠٠ وانفجر السؤال من فمى :
- هل راؤل يساعذك ؟

ولم يجد ذلك فلم أحصل على أى رد منها ٠٠ كانت
تسير ومعها أسرارها ، فهى لاتزال حبيسة نومها ٠٠٠
وسحبت الستارة جانباً من أجلها ، فمشيت هى بهدوء
حارة بى ٠٠ وسارت فى الشسرفة الى ان اختفت عن
بصرى ٠٠

لكنها قد افصححت عن شيء واحد ٠٠ الفنجان ٠٠
فعدت عيناى الى الفنجان الفارغ بجانب فيليب ٠٠
ماذا كان يوجد فى الفنجان مع الشيكولاته ؟

وايظفته بهدوء ، ففتح عينيه ورانى ، فقال :

- لقد رايت حلما سيئا آخر !

- أعرف ، ولهذا جئت ٠٠ فيليب ٠٠ هل انت على
مايرام ؟

- نعم ، طبعا !

وسقطت عيناه على ملابسى فسالنى :

- لماذا انت ٠٠٠٠

— هل شربت الشيكولاته ؟

فتردد وهو يقول :

— لقد سكبتها ، وتخلصت منها .

— ماذا ؟ هل كانت مقرفة أو أى شيء ؟

— لا ، على الأقل ، لا أعرف . . . لقد تركوا الزجاجاة
ليلة أمس ، فعثرت عليها واحتفظت بها . . . أننى لم
أخبرك .

فقلت وأنا لا أفهم :

— زجاجة ؟

— نعم ، عصير الليمون اللذيذ . . . لقد شربته عوضا
عن ذلك .

— انك لم تقل شيئا أبدا عندما كنت أذهب لأحضر
لك الشيكولاته .

فقال فيليب :

— حسن ، لم أرد أن أؤذى شعورك ، فأنت دائما
تعملين الشيكولاتة . . . ماذا فى الأمر ؟

- لا شيء .. لا شيء .. أوه ، فيليب !

- هل أنت حانقة على ؟

- لا ، لست حانقة عليك .. والآن ، اسمع يا حبيبى
هل علمت أن عمك هيبوليت سيأتى البيت غدا .. اليوم ؟

فرايت الفرحة تلمع في وجهه وهو يقول :

- لماذا يعود ؟ من قال لك ؟ متى يمكننا أن نذهب
ونراه ؟

فقلت :

- فكرت أننا نذهب في الحال .. فكلما أسرعنا ،
كان أفضل ..

وتطلعت إليه وكأننى قلت أعقل شيء في الدنيا ،
فترأخت عيناى أمام حلقته الثابتة .. وتساءل :

- هل تقصدين أننا سنذهب الى فيلا أنا الآن ؟

- نعم ، لن يكون هناك بعد ، ولكنى فكرت ..

- هل عمى ليون يعرف ؟

- فيليب ، يا عزيزى ، لا أتوقع منك أن تفهم كل
هذا ، ولكن أريدك أن تثق بى ، وتعال معى الآن ..

— انك تأخذيني بعيدا عنه ؟

— نعم !

وانتظرت منه أن يقول : لماذا ؟ .. ولكنه لم يفعل ،
وقال :

— ان عمى ليون يكرهنى • انه يتمنى أن أموت ..
فقلت بلطف :

— فيليب ، يا حبيبى ، أخشى أنه يرغب فى إيذاءك .
انا لا أحبه كثيرا ، أيضا .. أعتقد بأن كلينا سنكون
أفضل بعيدا عن هنا ..

ودفع بأغطية الفراش بعيدا عنه ، وخلع بيجامته
فورا ، وقال :

— عندما أطلق على النار فى الغابة ، لم يكن ذلك
مصادفة ؟

لم يكن هناك حاجة للتظاهر ، فقلت :

— لا ، لم يكن ذلك مصادفة !

وناولته ملابسه •

— لقد حاول أن يقتلنى !؟

فاضفت قائلة :

- نعم ، ولكن لا تخاف يا فيليب !

- اننى لست خائفا .

وكانت عيناه - مثل عيون أسيرة فالى - تلمعان
بشراسة حين قال :

- لقد كنت خائفا لمدة طويلة ، ولكن لم أعرف
لماذا . والآن عرفت ، ولم أعد خائفا !

وعثرت على سترته الصوفية وقلت له :

- لا ترتدى حذاءك الآن .. أحمله ، حتى نخرج
من القصر !

فالتقطه ، وتطلع الى في ريبة ، وقال :

- لا يمكننا أن نذهب الى فيلا انا حتى يكون عمى
هيبوليت هناك . فهناك سيبحثون عنا أول ما يبحثون .

- أعرف . هل تذكر مسيو بليك ، الانجليزى ؟
حسن ، ان لديه كوخا في غابات ديودونى ، حيث
يقضى الليل أحيانا ، انا أعرف انه هناك الليلة ،
لأنى رأيت ضوءه يلمع كالنجمة قبل ان اذهب للفراش .

سوف نذهب الى هناك ، وسيسببهم بأمرنا حتى يعود
عك . والآن ، يجب أن نكون هادئين جدا جدا . . . !

ووقفت بجوار الباب واخذت اتسمع . ولم أستطع
أن اسمع شيئا . وخلف الباب امتد المنزل الفسيح
العظيم مظلمًا و خاليا تقريبا . . . وكانت مدام دي فالى
نائمة بالتأكيد ، وكان برنارد مخمورا ، وليون نفسه . .
كان منتظرا في الطابق الأسفل هناك لاكتشاف الوفاة . .
كان ليون نفسه عاجزا . .

وزحفنا في سكون على طول الممرات الطويلة المظلمة،
وهبطنا على السلالم الى الباب الجانبى . . وكان مغلقا
بالمفتاح . لا بد أن باب المطبخ قد ترك مفتوحا ليدخل منه
الخدم . ولكنى لم أجرو على استكشاف ذلك . . ودار
المفتاح الثقيل بسهولة وبهدوء ، ولكن لم يزل الباب
مستعصيا على الفتح . لا بد أنه محكم من فوق أيضا . .
فانصابت يداى فوق الخشب ، فعثرت على المزلاج فوق
يدى ، فسحبته .

فتحرك بصوت يشبه الصرخة . . وبدأ الصوت
يستمر ، ويستمر . . وشددت الباب بيدين مرتعشتين ،
منصتة طوال الوقت لصوت الكرسي المتحرك . . ولكن

لم يزل الباب لا يتحرك .. قد يكون قادما في اى لحظة
الآن ، ليجدنا في هذا الركن المعتم .. فهمس فيليب :

- هنا ، لقد احضرت كشافي المضيء .

وانحنى نحو مزلاج آخر عند أسفل الباب ، وسحبه
الى اعلى بهدوء ، فانفتح الباب ..

وخرجنا الى هواء الليل ..

الفصل السابع عشر

والآن ، كيف سنعثر على كوخ وليم بليك في الغابة ؟
فمن ناغذتى بقصر فالى ، لاحظت أن الضوء يبدو قريبا
من ممر عريض مستقيم يمتد خلال أشجار الصنوبر من
مكان ما قرب جسر فالى . تمكنت أنا وفيليب أن نعبّر
الجسر . . . وانحرفنا قليلا نحو اليمين ، وكنا على يقين
أننا سنصل الى ممر مفتوح ، ثم يمكننا عندئذ أن نقبعه
صاعدين حتى نصل الكوخ .

كان هذا يبدو سهلا ، ولكنه كان في الحقيقة تسلقا
طويلا وشاقا جدا . . . ولم أجروا على استخدام كشاف

فيليب بالقرب من الطريق ، ولا في المر المفتوح فيما بعد ، حيث يمكن رؤيته من قصر فالى .

وفي الغابة كان الظلام دامسا . . ولقد اعتادت عيوننا على الظلام واصبحنا قادرين على شق طريقنا بين الأشجار ، ولكننا لم نستطع رؤية الفروع الميتة الجافة الملقاة على الأرض . . فاصطدمنا بها وسقطنا فوقها ، وتغطت سيقاننا بالجروح والكدمات . ومع ذلك ، عندما كنا نتسلق ونتوغل في الغابة ونبتعد عن القصر ، كنت أشعر بمزيد من الأمن والسعادة . وكان هذا الجانب البري الموحش من الجبل ليس مكانا للخوف : بل انها فالى بأضوائها وترفها التي تراها من هنا .

كان ظني في محله ، فبعد حوالي عشرين دقيقة من تسلقنا المؤلم لذلك المر شديد الانحدار ، وصلنا الى ممر مفتوح . . لم يكن ممرا بالفعل ، ولكنه كان قطعاً واسعاً مستقيماً متخللاً الأشجار ، ربما كان المقصود منه أن يخدم كفاصل للنيران اذا شب حريق في الغابة . وهنا ، أيضاً ، كانت الأرض مغطاة بالأفرع الميتة الجافة ، ولكننا كنا نستطيع أن نرى أفضل على الأقل .

والتفتنا مرة لنتطلع الى قصر فالى . فكان يطفو

على الجانب البعيد من الوادى شاحبا في ضوء القمر
فوق غاباته الممتدة .. وكان هناك ضوء واحد يلمع
في جانبه .. فلا يزال ليون دى فالى منتظرا ..

وعانينا في الصعود متسلقين ، مع التوقف مرارا
وتكرارا لأخذ قسط من الراحة . وأخيرا رأينا الكوخ .
كان صغيرا ومربع الشكل ، وله سطح منحدر ، وكان
كله مصنوعا من كتل أشجار الصنوبر . كان الصباح
مشتملا عندئذ .. ولكن .. بالطبع ، سيكون وليم نائما
في ذلك الوقت .

واستدرت لألقى نظرة أخيرة على قصر فالى ، فبدأ
بعيدا وغريبا . اننى لن أعود هناك ثانية .. وامتلات
عينائى بالدموع .

وبدلا من وجود ضوء واحد في القصر ، بدأ العديد
من الأضواء . فرفعت ، بحنق ، يدي لأمسح دموعي .

ولكن ليس للدموع دخل في ذلك . فكان هناك ثلاثة
أضواء ، بالفعل ، تلمع من جانب القصر . وأثناء
حملتي اضيئت نافذة أخرى . ثم أخرى .. حجرة
النوم ، ثم حجرة جلوسى .. ثم حجرة الدراسة ..
وبعد ذلك رايت أضواء سيارة قادمة من المساحة
الخارجية . لقد تم اكتشاف هروبنا !

انه لم ينتظر حتى الصباح . لقد دخل حجراتنا مرة أخرى ، وكانت فالى قد استيقظت . ولكن أثناء مراقبتى ، انطلقت الأضواء واحدا تلو الآخر ، تاركين الضوء المنفرد فقط ، بينما كانت أضواء السيارة تملأ هابطة المنعطفات .

وهكذا لم يوقظ أهل البيت . لقد أرسل شخص ما لطاردتنا ، وبعد ذلك ذهب هو لينتظر بجانب التليفون . فاستدردت وركضت تحت عتمة أشجار الصنوبر .

كان فيليب يطرق باب الكوخ . وبعد لحظة ستنتهى كل المشكلة ، سوف نسمع صوت أقدام الشاب الانجليزى وبعدها ستكون بالداخل فى أمان .

ومرت نصف دقيقة .. كانت الغابة ساكنة ، والهواء البارد يلفح ظهري .. ومرت دقيقة .. بلاصوت .. لابد أنه كان مستغرقا فى النوم ، فقلت :

- دعنا نرى اذا كنا نستطيع الدخول .

لم يكن الباب موصدا بالمفتاح ، فتأديت ونحن نهم بالدخول :

- مستر بليك ! هل انت هنا ؟

فارتد صوتنا ، وساد صمت أجوف لمنزل خاو .
لقد كان بالتأكيد ، موجودا هنا من برهة وجيزة ، أن
كان حطب الموقد لا يزال مشتعلا ، ورائحة الطعام عالقة
في الهواء . . . لابد أنه كان يعمل هنا ، وقام بأعداد وجبة
طعام لنفسه ، ثم قرر بعد ذلك أن ينزل الى مقهى كوك
هاردى .

كان في الكوخ حجرة واحدة ، بها منضدة خشبية
متينة وبعض الخزانات وكريسيان خشبيان وسرير يبدو
صلدا في أحد الأركان ، مع وجود صندوق تحته . وفي
ركن آخر ، كان هناك سلم خشبي يؤدي الى باب صغير
في السقف . وقال فيليب في صوت متعجب خافت :

— الا نستطيع البقاء هنا ؟

— نعم ، بالطبع . . .

لابد أن السيارة ستهبط منقبة الطريق الى فيلا انا
وهم لن يبحثوا عنا هنا مطلقا . وقالت لفيليب :

— يمكننا أن نتسلق هذا السلم الخشبي . سأصعد
والقى نظرة .

ومن حسن الحظ كان الباب في السقف سهل الفتح .
فدفعته وانزت الكشف حول الحجرة التي أسفل السطح

٠٠ كانت مستخدمة كحجرة خزين . حيث كانت هناك
أكوام من الصناديق والعلب الصفيح والحبال ٠٠
والشئ الذى بعث الراحة الى نفسى أن الحجرة بدت
جافة ونظيفة تماما ٠٠

ونزلت ثانية ٠٠ وكما تصورت كانت هناك بطاطين
اضافية فى الصندوق الموجود تحت السرير ، فأرسلت
فيليب الى اعلى السلم الخشبى وناولته البطاطين ،
واحدة تلو الأخرى ، ثم أدت الكشف حول الحجرة
كلها . لأتأكد من أننا لم نترك أى أثر لوجودنا ، ثم
تسلقت مرة أخرى لأنضم الى فيليب فى حجرة الخزين .
كانت البطاطين ضرورية فى هذا الجو البارد ، فقدثرنا
بها ورقدنا شاكرين لننام

غط فيليب فى النوم فى الحال ٠٠ ورقدت متصنقة
لآلاف الأصوات المنبعثة من أعماق السكون الذى يلفنا .
اننا فى أمان هنا ، أمان تام ٠٠ واستطعت أن أنام ٠٠
وانطلق صوت فتح الباب فى ذلك السكون النائم
مثل طلقة البندقية ٠٠

انه وليم بليك ، بالطبع ٠٠ لابد أنه هو ، ولا بد
انى نمت أكثر مما ظننت ، والآن قد أصبح الصباح ،

وهاهو قد عاد .. ورفعت رأسي لأسمع ، ولكنى لم
أقم بأية حركة أخرى ..

وخطا الرجل القادم خطوتين أو ثلاثا ، ثم توقف
تحتنا ، واستطعت أن أسمعه يتنفس بشدة ، كما لو أنه
كان يركض .. ووقف ساكنا تماما لمدة طويلة .

وانتظرت للأصوات المطمئنة لاشعال المصباح ، أو
لصوت الحطب وهو يحترق في الموقد .. ولكن لم يكن
هناك سوى السكون والتنفس السريع . وبعد ذلك ،
حتى التنفس انقطع !

اعتقد أن تنفسي قد انقطع أنا أيضا . عرفت عندئذ
أنه ليس وليم بليك . كان الرجل من تحتنا يمسك
بتنفسه ليتسمع لنا ، ليلتقط أدنى صوت قد تصدره .

لقد تعقبنا وتصيدنا في مخبأنا .. لا يمكن أن يكون
ذلك حقيقيا ، ولكنه حدث . لقد وصل صائنا بالفعل !

ترك تنفسه على سجيته ثانية ، وتحرك عبر أرضية
الحجرة .. وعندئذ سمعت صوت المصباح الزيتي
« القنديل » وهو يشعله ، ثم صوت سياب ، لأنه على
ما أظن ، انطلقا القنديل ثانية . وبعدها بثوان جاء صوت
اشتعال عود كبريت آخر .

لا يمكن أن يكون الصباح قد أتى بعد ، ولم يكن
بالطبع وليم بليك ، فالسباب والشقائق كانت باللغة
الفرنسية . وفي صوت اعتقدت أنني أعرفه .. أنه صوت
برنارد !

واشتعل الصباح عندي .. واستطعت أن أرى
خيوطا دقيقة من الضوء بين ألواح السقف الخشبية .
كان يتجول بطريقة بطيئة متمدة ، فكانت مضيئة أكثر
من الخطوات المسرعة .. ربما لا يعرف كنه هذه
الحجرة ، وفكرت ، ربما لا يلاحظ السلم الخشبي ..
هذا إذا لم يستيقظ فيليب أو تصدر عنه أية حركة .

ما زال الرجل يتنفس بصوت مرتفع . وعندئذ جاءت
خطوات الأقدام تحت السلم الخشبي ، وسمعته يتحرك
قليلا حيث قبض بيديه عليه . نعم ، لقد عرف برنارد
أننا هنا . وكان التنفس العالي ليس مرجعه الركض ،
ولكن الاثارة ..

وهنا جاء صوت مفاجيء لخطوات سريعة خارج
الباب . ففسب برنارد مرة أخرى وفتح الباب ، ثم قال
صوت غريب :

— من هنا ؟ أوه ، برنارد ، أهذا أنت ؟ ماذا تفعل
هنا ؟

وتحرك السلم الخشبي مرة أخرى حيث ألقته برنارد ،
وقال :

- هاللو جول !

لم يكن يبدو مخمورا ، ولكن صوته كان غليظا
ثابت تماما :

- عساي أسالك نفس السؤال • ما الذى أحضرك
الى هنا ، فى هذه الساعة ؟

وأغلق الشخص الآخر الباب ودخل الحجرة ••
وقال :

- من واجبات حرس الليل •• فمئذ اضطرار
حريق الغابة فى الشهر الماضى ونحن علينا أن نفعل
ذلك •• وهانذا أقطع الغابة غدوا ورواحا طوال الليل
البائس •• ولقد تزوجت منذ أسبوعين فقط !

فضحك برنارد قائلا :

- حظ عاثر ايها الزميل القديم !

- دعنا نضع بعض الحطب فى الموقد •• أه ، هذا
افضل ! والآن ، ماذا تفعل هنا ؟ اذا كنت تريد الشاب
الانجليزى ، فهو تحت عند مقهى كوك هاردى الليلة •

فقال برنارد ، متحدثا ببطء وبوضوح :

- لا ، ليس الشاب الانجليزى .

- لا ؟ ماذا ، اذن ؟ لابد ان لديك سببا للمجئ
الى هنا فى منتصف الليل ، وأنا أحب أعرف هذا السبب
.. ان هذا المكان من أملاك ديودونى ، تعرف ، وأنا
مستول عنها !

فقال برنارد :

- حسن . هنا أمور غريبة تحدث الليلة فى قصر
فالى . هل سمعت عن مربية فيليب الصغير الانجليزية .
اسمها مارتن ؟

- هذه الفتاة الصغيرة الجميلة التى كانت تطارد
مسيو راؤل ؟ ماذا فعلت ؟

- لقد اختفت ، هذا ما قد فعلته !

- حسن ، ليس من الصعب معرفة مكانها ، اليس
كذلك ؟ ومسيو راؤل ..

انسى مسسيو راؤل الآن .. لقد أخذت الصبي
معه !

— ماذا ؟ فيليب الصغير ؟ هل انت متأكد ؟

— يا لللعنة ، بالطبع نحن متأكدون ! صعدت المدام منذ ساعات قليلة الى حجرة الولد لتلقى عليه نظرة .. فلم يكن هناك ! والمربية قد ذهبت أيضا ! فتكدت المدام بشكل فظيع . ولذلك أبلغنى السيد أن أخرج وأبحث عنهما .. لقد نزلت الى ثونون ، ولكن ، يا لللعنة ، لم يكن هناك أثر لهما .. ولا يبدو أن السيد نفسه كان قلقا ، فهما لابد أن يظهرأ قريبا جدا على أية حال .

— ولكن لماذا سيصعدان الى هنا ؟

— انها فكرة السيدة . يبدو أن الفتاة قد شوهدت فى ثونون مع الشاب الانجليزى . حسن ، انها ليست هنا بالتأكيد ، لذلك أعتقد أن من الأفضل لى أن أعود . هل ستأتى معى ؟

لم يجب جول مباشرة ، ولكنه قال بعد برهة :

— تلك الفتاة مارتن .. كان هناك كلام .. كلام كثير !

ولم يبد برنارد أى اهتمام . وقال جول بعد لحظة :

— الناس يقولون .. أن مسيو راؤل ينوى الزواج منها .

فقال برنارد :

- أوه ، هذا .. حسن ، انه حقيقي .

- يا الهى ، حقيقى ؟ وهكذا قد أوقعته فى شباكها ،
الأحمق المسكين .. انها ليست على شاكلته .

فقال برنارد ، وهو ما يزال يتحدث بهذه الطريقة
البطيئة الغريبة :

- انه لم يكن أحمق أبدا . اذا كان يريد أن
يتزوجها . حسن ، فهذا ما يريده . والآن دعنا نذهب ،
هل ممكن ؟

- برنارد .. وتلك الفتاة ...

كان هناك شيء ما مزعج بخصوص صوت جول .
كان يبدو متعجلا وخجلا بعض الشيء . وقال برنارد
بصبر فارغ :

- حسن ؟

- هل انت متأكد انها .. انها لا تقوم بما يؤذى
الصبى ؟

— ما الذى تقصده ؟

— حسن ، الناس يقولون انها لديها ٠٠ طموحات .
لماذا تقف طموحاتها عند الزواج من مسسيو راول ؟
ماذا الذى يعرفه أى امرئ عنها ، على أية حال ؟
من هى ؟ !

— انها يتيمة انجليزية ٠٠ من اسرة طيبة ، على
ما اعتقد ٠٠ هذا كل ما أعرفه ٠ ولكنها تبدو شغوفة
بالصبي !

.. ان الصبي لن يجعلها المدام كونتيسة غاملى .
برهة سكون ، بعدها ضحك برنارد قائلا :

— كلما أسرعت فى العودة الى فراشك كان افضل
٠٠ ان هواء الليل يعطيك تهيؤات ساقوم بتوصيلك حتى
سوبيرو ٠٠ ما رأيك ؟ لقد تركت السيارة تحت نهاية
المر

وتحرك فيليب بجانبى وهو نائم ، وقال شيئاً ،
فقال جول بحدة :

— ما هذا ؟

— ماذا ؟

— سمعت شيئا • • تقريبا يشبه الصوت •

فضحك برنارد تحقنا تماما ، ضحكته القصيرة
الجامدة وقال :

— فار يا عزيزي جول • حسن ، دعنا نذهب • •
يمكنك أن تذهب أمامي ، وسأعود لأطفئ المصباح
واقفل الباب • سوف أتبعك • •

فقال جول بحزم :

— سوف انتظرك هنا • •

— ايه ؟ أوه ، حسن جدا • • هذا كل شيء • •

وزهدا • • لقد سمعت الباب يفتح ويقفل ، ثم سمعت
صوتيهما في الخارج يزداد خفوتا الى أن التهمه السكون
• • ورقدت ثانية ، وأنا ارتعش كأنى أصبت بالحمى !

كأن الراحة المفاجئة بعد كل هذا الرعب قد اتعبتني
• • وكنت طوال الحادثة قد فتحت أذني لأحصل على
كل كلمة • • وكنت أحاول أن أخمن نوايا الرجلين لقد
دار عقلي كالرحى في ارتباك • وبدأ لي في إحدى اللحظات
أننى يجب أن أصرخ منادية على جول ومظهرة نفسي
له ، فهو ليس موظفا في فالى • وهو على الأقل ، سوف

ينقذنا من أى ضرر قد ينويه برنارد . ولكنى فى اللحظة التالية ، وجدت نفسى أستمع لجول يتهمنى واستمع لبرنارد وهو يدافع عنى ! وما قاله برنارد له كان مدهشا جدا ، أيضا . . .

ليون دى فالى لم يكن قلقا ، كنت معسوفة بانى مغرمة بفيليب ، زواجى من راؤل كان أمرا مفروغا منه ومقبولا . لقد كانت محادثة غريبة جدا حقا . لقد كان لدى شعور بأن هناك شيئا غير طبيعى بخصوصها . . . وكانت طريقة برنارد البطيئة الحريصة غير طبيعية أيضا . . .

رقدت هناك فى هدوء ، مستمتعة بأمننا وبالسكون المخيم فى ديودونى . وتحرك فيليب مرة أخرى وقال :

— مدموازيل ؟

ثم عاد لينام . فابتسمت ، واعتقدت انه اذا كان قد تكلم بهذا الموضوع من قبل ، لكان برنارد قد سمعه . وعلى كل ، فلقد كان واقفا تحتنا مباشرة ، بينما كان جول قد ابتعد

وتجمعت فجأة . لقد سمعه برنارد بالتأكيد . . .

بالطبع قد سمعه برنارد • لقد عرف برنارد أننا
كنا هنا • لقد عرف بالفعل أنني كنت أتصنت لكل كلمة
قالها ، ولا عجب أن المصادفة قد بدت غير طبيعية •

لم يناسبه أن يعثر علينا أثناء وجود جول هنا •
ولهذا كان السبب - رغم أنه فوجيء بوجود جول وهو
في طريقه الى مخبأنا - أنه لم يتم بحثه • ولهذا كان
السبب أنه قد رفض أن • يسمع • ما قد سمعه جول ،
ولماذا حاول أن يجعل جول يذهب أمامه ، بينما تخلف
هو لينقض علينا • ولكنه لم ينجح في ذلك • ولهذا فهو
سيعود • • بمفرده • •

قد يأخذ جول في سيارته الى بيته ويدعى أنه ذاهب
الى فالن ، وعندئذ سوف يعود ثانية بأقصى سرعة
يقدر عليها ، لأن الليل سيتحول بعد قليل الى صباح ،
والليلة ونهار الغد هو كل الوقت الذي لديهم • •

لم أبحث الفكرة أكثر من ذلك ، ولم أرغب في وضعها
في كلمات تركتها كما هي كخوف عديم الشكل ، يدق في
جسدي ، ولم أستطع تصور كيفية تنفيذهم لذلك ، ولكن
في ذلك الجحر المعتم عند قمة الغابة المنعزلة ، كان يبدو
أي شيء ممكنا • • وجاءت الى ذهني صورة مفاجئة

لليون دى فالى ، وهو يراقبنا من خلف تلك النافذة
الساطعة عبر الوادى ، يقتنصنا من أعلى وهو على
كرسيه المتحرك ، وكان ذلك بواسطة شعاع سحرى
يقتفى اثرنا عبر الغابة . ليون دى فالى ، ظل ملتو
ضخم . يطول حتى يطولنا اينما كنا لماذا فكرت فى انى
اقدر على الفرار منه ؟

كانت الدموع السخيفة تنهمر على وجهى ..
فانحنيت لأوقظ فيليب ! .. !

الفصل الثامن عشر

استيقظ على الفور ، متساءلاً :

- مدموازيل ؟ هل جاء الصباح ؟

- نعم ، انهض يا حبيبي . لابد أن نذهب !

- وهو كذلك . هل أنت تبكين يامدموازيل ؟

- يااله السماوات ، لا ! والآن ، هيا بنا !

فقفز في الحال ، وفي وقت قصير جدا كنا قد هبطنا
السلم الخشبي . كان الفجر يكاد يبرز في الخارج ،
والتناء ارتداء فيليب حذائه تطلعت في خزانات ورفوف
وليم بليك ، وقلت في ابتهاج :

- خبز ! علبه سردين .. كعك .. وشيكولاته !
هذا جميل !

- هل ستتناولين الافطار الآن ؟

- مع الأسف لا .. من الأفضل الا ننتظر هنا حتى
يعود مستر بليك .. سوف نتجه صوب ثونون !
والقيت نظرة خاطفة حول الكوخ ، وقلت :

- كل شيء على مايرام ، هيا بنا نذهب !

اذا كان برنارد قد أخذ جول الى سوبيرو ، فلن
يكون قد عاد بعد ؟ ولكنى تطلعت من النافذة عبر
الأشجار المعتمة بخوف .. لا شيء يتحرك هناك ..

تسللنا خارجين من الكوخ وتسلقنا الى أن وصلنا
قمة التل . كان قلبي يبق بعنف ، ولكن الغابة كانت
هادئة تماما ، فيماعدا أصوات الطيور التى تطير بين
قمم الأشجار . وعندما وصلنا فوق قمة الهضبة شعرت
بأمان أكثر . وكان الدرب العريض مستقيما وخاليا ،
فركضنا عبره لنحتمى تحت الأشجار .

وبعد برهة جئنا الى تل صخرى بين الأشجار ،
وهنا سمعت صوتا لمياه جارية ، وصرخ فيليب قائلا :

— أنسة مارتن ، كهف ! هناك كهف !

— وينبوع ماء • أظن أننا سنتناول افطارنا هنا •

لم يكن كهفا حقيقيا ، بل مجرد ركننا جافا تحت
جدار معلق من الصخور ، لكنه منحنا وقاء من رطوبة
الغابة ، والأهم من ذلك •• هيا لنا شعورا بالطمأنينة •
وإثناء تناولنا الطعام ، بزغت الشمس فصبغت قمم
الأشجار باللون الذهبي !

قد يبدو أمرا سخيفا أن أقول ، انى استمتعت بذلك
الصباح • كانت الغابة آية في الجمال في ضوء شمس
الصباح ، وكنا أحرارا •• وكنا في طريقنا الى ثونون ،
ومسيو هيبوليت سيأتى الليلة • وفي هذا الصباح الجميل
بدأ شبحا ليون دى فالى وبرنارد الشريرين بعبيدين
وغير حقيقيين •

لم نسرع • كان لدينا متسع من الوقت وكان كلانا
متعبا • وقبل منتصف النهار بقليل وصلنا الى الطريق
الذى كنت أمل العثور عليه •• وانعطف الطريق في
الاتجاه الذى أردنا الذهاب اليه ، مرتفعا فوق طريق
الوادي الرئيسى • وإثناء هبوطنا منه سمعنا صوت
سيارة • فقلت بسرعة :

- اختبئ يا فيليب !

وفي لحظة كنا فوق الضفة المنزلة وبين ستر من الشجيرات عند القمة .. وعندما القينا أنفسنا منطرحين أرضا ، ظهرت الكاديلاك من تحتنا . كانت النافذة مفتوحة فرأيت وجهه . وتأرجحت السيارة مبتعدة ، وهمس فيليب قائلا :

- هذا ابن عمي راول !

- نعم .

- ظننت أنه في باريس !

- وأنا أيضا .

- ألا نستطيع .. اليس في إمكانه أن يساعدنا ؟

- لا أدري يا فيليب ..

ومرت لحظات سكرن ، ثم قال فيليب في اندهاش :

- ابن عمي راول ؟ ابن عمي راول ، أيضا ؟ لا

تثقين فيه يا مدموازيل ؟

ههههه :

- نعم ..

ثم قلت بطريقة هوجاء :

- لا !

- ولكن لماذا ؟

- فيليب ، من فضلك ، لا أستطيع ..

وأشحت بصرى بعيدا عنه للحظة ، ثم قلت :

- ألا ترى ، أننا لا نستطيع أن نجازف بأى شكل من الأشكال . مهما كنا متاكدين ، فعلينا أن نكون ..
فعلينا أن نكون متاكدين .. ألا ترى ذلك ؟

إذا رأى فيليب أى خطأ فى هذه الملاحظة الضعيفة ، فهو لم يظهر ذلك .. ومد يده بخجل ولمس يدي .

ورقدنا هناك بين شجرتين صغيرتين . كان عقلى
مملوءا براؤل .. لم أستطع ، بكل ما فى الكلمة من
معنى .. لم أستطع أن أقبل أنه كان حقا يشترك فى
المؤامرة مع الآخرين . كان يمكن لكل شيء قاله وفعله
أن يكون له تفسير برئ . أو هكذا قلت لنفسى .. لم
يكن يعلم بالمحاولات الخاصة بالحصول على مربية
لا تستطيع التحدث باللغة الفرنسية ، لقد بدا مصدوما
مثلى فى حادث إطلاق النار فى الغابة ، واستلته اللاذعة

عن وليم بليك ، لعلها كانت بسبب الفيرة ، وليس ضيقا
 من أن اليتيمة التي « بلا صديق » لديها صديق انجليزى
 ذو مظهر قوى فى المنطقة ، وصوت نغير السيارة ذاك
 الذى اخرج فيليب الى الشرفة قد يكون محض مصادفة
 .. ان برنارد لم يتحدث عنه . اما بالنسبة لقول برنارد
 لبييرث ان راؤل هو الذى أطلق النار على فيليب ...
 حسن ، ربما برنارد لم يرد ان يظهر نفسه أمام بييرث
 كقاتل .

كانت الأفكار تدور وتدور فى عقلى . وقلت لنفسى ،
 ليس من الصالح ، ومن أجل انقاذ فيليب يجب على ان
 افترض بأن راؤل مذنب .

همس فيليب فى الذلى قائلا :

— يوجد شخص ما فوق قمة التل خلفنا . لقد جاء
 لتوه من الغابة . اظن انه برنارد . هل هو فيها—
 أيضا ١٩

فاومات ، ثم رفعت رأسى بحذر .. انه برنارد
 فعلا ! .. لقد كان فوقنا .. على بعد مائتى متر ، وكان
 يتطلع الى المنحدر الذى تحته .. لم يكن هناك حاجة
 لأخبر فيليب أن يظل ساكنا ، فكلانا رقد ساكنا كالأرنب
 .. ومرت اللحظات . كان يتطلع نحونا .

كان قادما بسرعة هابطا التل في اتجاهنا . اظن
أن الأرنب يظل ساكنا اثناء اقتراب الصياد على أمل
أنه لم يره . . وظللنا ساكنين !

لقد قطع نصف المسافة مبطنا سرعته ، عندما
سمعت الكاديلك تعود مرة أخرى . وتوقفت قريبا منا ،
وانطلق نفيها مرتين . ورايت راؤل يرفع يده ، فغير
برنارد الاتجاه وسار مسرعا هابطا الى السيارة . .
قال راؤل شيئا ، فhez برنارد رأسه ، ثم أشار الى جانب
التل الذي من فوقنا ، ثم ركب بجانب راؤل . . وسارت
الكاديلك ببطء من تحتنا .

وبعد برهة وجيزة نهضت قائلة :

— تعال ، هيا بنا نبحث عن مكان نتناول فيه
غداءنا بعيدا عن الطريق .

وبعد أن تناولنا طعامنا ، ذهبنا الى داخل الغابة
ثانية . ولم نلتقى بأحد على الإطلاق . وبعد الظهر
خرجنا من تحت الأشجار الى مساحة فضاء مسطحة
مغطاة بالعشائش والعشب الأخضر المريح للعين . .
وهناك أخيرا ، ليس بعيدا عن الشمال منا ، رأينا المياه
الزرقاء المتلألئة لبحيرة جنيف .

ولم تكن اسطح منازل ثونون تبعد من تحتنا اكثر
من كيلومترين ، فقال فيليب :

- انا اعرف هذا المكان . لقد جئت الى هنا مع
عمي !

- هل تتذكر الطريق الى ثونون ؟

- نعم ، بالطبع . هناك ممر هابط اعرفه .

فقلت :

- حسن ، اذن سوف نذهب الى فيلا انا هذا
المساء ، وننتظر عمك . والآن دعنا ننام قليلا .

استيقظت عند اول نسمة مساء باردة ، ورأيت
الشمس على وشك الخفاء خلف الجبال ، فنهضت على
قدمي وقلت :

- الآن ، ارني ممرك يا فيليب !

تذكر الممر تماما ، وبعد نصف ساعة كنا نسير في
شوارع ضيقة ، فيها أناس من حولنا ، ولكن لم يعرنا
احد منهم أى انتباه .

قام فيليب بالارشاد بكل ثقة طول الطريق ، واثناء

سيرنا في أحد المنعطفات فتح باب مطعم صغير فجأة ،
فخرجت منه رائحة سماوية لبخار طعام ساخن ، فتوقفنا
ونظر كل منا للآخر . فقلت :

– حسن ، أننا لمحوظين حتى الآن .

ودخلت مع فيليب الى الضوء والدفء .

طلبنا طعامنا واكلناه بسعادة بالغة . ولا أحد في
المكان المزدهم كان يبدي أدنى اهتمام بنا .

كان هناك تليفون في المطعم ، فذهبت لاتصل بمقهى
كوك هاردى .

– أريد أن أحدث مسيو بليك من فضلك .

– من ؟

لم يبد الصوت في الطرف الآخر من الخط أى ود .

– مسيو بليك . الشاب الانجليزى . هل هو

موجود ؟

استطعت أن اسمع الرجل الذى في الطرف الآخر
يقول شيئاً لشخص آخر بجانبه ، ثم قال لى :

– لا ، أنه ليس هنا .

ثم بدت على صوته الريبة وهو يسأل :

— من الذى يتكلم ؟

— هل من المحتمل ان يأتى الليلة ؟

— ربما .. من أين تتكلمين ؟

إذا لم أجب ، فقد يفتفون أثر المسكاملة ، ثم قد يتصلوا بفاملى ، و .. و لم اتوقف لأفكر ، بل قلت :

— من ايفيان ، محهى حاريان . من فضلك أخبر مستر بليك أننى سأتصل به فيما بعد ..

ووضعت السماعة وحملقت فى تعاسة فى التليفون .
.. ترى أين وليم بليك ؟! إذا وصلته رسالتى . فقد يدرك أنى أحتاج لمساعدة ، ويأتى مباشرة الى ايفيان .
كنت ، لا أدرى لماذا ، متأكدة من رغبة وليم بليك فى مساعدتى ؟!

الفصل التاسع عشر

كانت فيلا أنا تقع مباشرة على شاطئ بحيرة جنيف ٠٠ كانت واحدة بين صف من بيوت فخمة ثرية تحف بجانب البحيرة ، ويؤدي إليها طريق ضيق منخفض بعض الشيء عن الطريق الرئيسى ٠٠ وكانت معظم المنازل تشمخ وسط حدائق كبيرة مكتظة بالأشجار وتحميها عن الطريق جدران عالية وبوابات كبيرة .

كان الظلام دامسا عندما وصلنا فيلا أنا ٠٠ وكانت البوابات الحديدية الثقيلة مغلقة ، وكان هناك ضوء يلمع من خلفها ٠٠ انه منزل مربع صغير يقع وراء البوابات مباشرة ، وقال فيليب :

- ان مدبرة المنزل تعيش هنا هي وزوجها .

فسالته :

- هل تريد أن تذهب اليها حالا ؟

- لا ، فهي ستتصل بعمى ليون ، اليس كذلك ؟

- اكيد . هل توجد طريقة أخرى للدخول ؟

- يمكنك الدخول من شاطئ البحيرة ! .. ان الحديقة تمتد حتى هناك ، حيث توجد حظيرة المراكب ، ولكنى لا اعرف الطريق الهابط المؤدى الى البحيرة .

- سوف نبحث عنه !

وفعلنا .. وبعد مسافة من الطريق وصلنا الى ممر ضيق بين حديقتين ، فتبعناه هابطين الى أن وصلنا اخيرا الى حافة الماء ..

لم يظهر القمر ولا النجوم في تلك الليلة ، وكان الضباب يجثم هنا وهناك فوق البحيرة .. وشققنا طريقنا على طول الشاطئ الصخري ولم يكن هناك أى صوت سوى حركة الماء اللطيفة على الأحجار .

كانت حظيرة المراكب عبارة عن مبنى صغيرة ، له

طابقان .. كان قائما فوق الماء .. مطلا على ضفة
منحدرة تتخللها الأشجار ، وسال فيليب :

— هل سندخل ؟

— ليس بعد .. أريد أن ألقى نظرة على المنزل ..
لعل عمك قد حضر بالفعل .

تسلقنا الضفة الزلقة وزحفنا برفق فوق الحشائش،
ثم سرنا تحت الأشجار الكبيرة . وعندما اقتربنا أكثر ،
رأيت أن المنزل يطل على البحيرة وبه ساحة أمامية
وطريق عريض للسيارات بجانبه .. ولم نستطع أن
نرى أى ضوء من أى نافذة .. وقللت برفق :

— مع الأسف ، أنه لم يصل بعد !

وعندما أصبحنا في مستوى الساحة الأمامية تقريبا
قللت :

— ما هذا الضوء الساطع خلف الشجيرات ؟

— أنه خارج الباب الأمامي .. هناك سيارة !

كانت السيارة تقف خارج البوابة .. وراينا خيالا
يخرج من خلف المنزل ويسرع في اتجاه البوابة وهمس
فيليب قائلا :

— انها مدبرة المنزل ، انا لا احبها كثيرا .

وسمعنا صوت فتح البوابة الحديدية الثقيلة ،
ودخول السيارة . ووقفت بعيدا وراء الشجيرات ،
وتنفس فيليب وهو يقول :

— عفى هيبوليت !

عندئذ تحدث صوت الرجل في الظلام ، فأمسكت
بانفاسي ثم قلت :

— لا .. هذا راؤل !

وسمعت مدبرة المنزل تقول :

— لا يامسيو .. لا شيء يامسيو .. ولا يوجد أى
اثر لهما ؟

فقال بايجاز :

— لا اثر . هل انت متأكدة انهما لم يحضرا الى
هنا ؟ هل الباب الخلفى مغلق ؟

— لا يامسيو . ولكنى متأكدة انهما ليسا هنا .
فقال :

- على كل ، لابد أن القى نظرة ..

وسمعت باب السيارة يفلق ، ثم سمعت وقع خطواته على طريق السيارات ، فهيمست قائلة :

- التزم بهذه الشجرة ، وقف خلفها . فقد يوجه
أى ضوء نحونا ..

وعندما توقفت عن الحديث ، اضيئت نوافذ حجرة الجلوس ، وسطع الضوء عبر الساحة .. انتظرنا في الظلام ، نراقب أضواء حجرة بعد أخرى ثم اعتامها ثانيا . كان يمر بكل حجرة في المنزل . وعندما انتهى من ذلك ، ظلت النوافذ المظلة على الساحة هي الوحيدة المضاءة .. وجاء الى أحد النوافذ الطويلة ، وفتحها وخرج منها .. وامتد ظله الطويل عبر الساحة ، فاقتربت من جزع الشجرة أكثر . ولم أستطع أن أراه من مكاني ، كنت أرى ظله فقط .

وفجأة اختفى .. وسمعت سيارة أخرى على الطريق ، وتارجحت الأضواء عند البوابة ، وقال صوت
راؤل :

- برنارد ؟

- ميسو ؟

كان برنارد قادما حول ناصية المنزل ..

وقال راؤل ، بصوته الجامد السريع لمديرة المنزل :

— الا يوجد أى اثر ؟

— أبدا يامسيو . ذهبت الى الكوخ ، ولكنهما ليسا

هناك !

— ربما ذهبا للبحث عن الشاب الانجليزى . هل

اكتشفت أين هو ؟

— لقد خرج طول اليوم مع مجموعة من الرجال

الى الغابة ، ولم يعد بعد . ولكنى اتصلت الآن ،

وابلغونى بأنها قد اتصلت به فى مقهى كوك هاردى ،

منذ خمس وأربعين دقيقة .. انها

— يا الهى ! من أين كانت تتكلم ؟ هل فكر الأغبياء

فى السؤال ؟

— نعم ، بالفعل ياسيدى .. لقد سمعوا كل شيء

عنها من جول ، تدرى ، أنه

- ومن أين كانت تتكلم ؟!

- من مقهى ماريان ، في ايفيان . انهم قالوا ...

- انن ، فهي لا يمكن أن تكون مع الشاب الانجليزى
حتى الآن .. سوف اذهب الى ايفيان فوراً .. يمكنك
أن تقبضى .. لابد أن نعثر عليهما !

واختفت الاصوات حول ناصية المنزل . وبعدها
بشوان ذهب الكاديلاك .. لابد أن مدبرة المنزل قد
خرجت مرة أخرى ، لأننى سمعت برنارد يتكلم معها ..
ولم أستطع أن أثبت ما قاله ، ولكنى سمعتها ترد قائلة :

- قالوا أنه لابد أنه يأتى حوالى الثانية عشرة .
وبعدها ذهب برنارد ، أيضا .. فهمس فيليب :
- انه قادم حوالى الثانية عشرة .. هل سمعت ؟

- نعم ، لابد أنها حوالى التاسعة الآن .. علينا
أن ننتظر ثلاث ساعات أخرى .. ولقد ذهبنا مزدفعين الى
ايفيان .. هيا بنا نذهب ونغلق على أنفسنا في حظيرة
المراكب !

ابرز فيليب المفتاح ، وتقدم الطريق الى الحجرة
التي فوق المراكب .. فاشعلت الكشاف لأرى ما فيها ..

كانت حجرة صغيرة منفرة ، مملوءة بأدوات مهجورة
لرياضات الصيف التي تكومت عليها الأتربة ، وقال
فيليب وهو مكتئب بعض الشيء :

- ماذا سنفعل حتى الساعة الثانية عشرة ؟

- ننام ، على ما أعتقد ..

- نعم .. أعرف ، سأنام في المركب !

وسحب شيئاً ما أصفر اللون من بين كومة أدوات
اللعب المطاطية القديمة . فسأله :

- هل هذا مركب بالفعل ؟

- نعم ، سوف ترين !

وبحث عن منفاخ ، وبدأ ينفخه بقدمه ، فقالت :

- أوه ، انه مدهش يا فيليب !

وبدأ الشيء المطاطي عديم الشكل يتحول الى مركب
صغير بداخله مكان يستطيع أن يسعنا نحن الاثنين .

وغط فيليب في النوم على الفور ، ولكنى كنت غير
مرتاحة ، فلم أسستطع النوم . وزحفت الدقائق ببطء

شديد ، وأصبحت أشعر بالبرد أكثر وأكثر .. وعند الساعة الثانية عشرة إلا ربعا قلت :

— دعنا نخرج من هنا . مارأيك ؟

كنت النوافذ لازالت معتمة .. ولا يمكن أن يكون قد جاء بعد الى هنا . ولكن مازالت نافذة الساحة الأمامية مفتوحة ، فدخلنا منها .

كانت حجرة الجلوس تبدو ضخمة في ضوء كشافنا الصغير . وكان الأثاث مكسورا بملاءات بيضاء مانعة للغبار . وهمست قائلة :

— هل يوجد تليفون هنا ؟

وقادني الى قاعة مرتفعة ، فوق سلم جميل فخم ويؤدي اليها ممر عريض ، ثم قال فيليب :

— هذه هي حجرة المكتب .

كانت هذه الحجرة داغثة بالتاكيد ، فسلطت الكشاف عليها وقلت :

— الى أين يؤدي هذا الباب ؟

— الى حجرة جلوس اخرى ، اكبر ، انها لا تستخدم الآن !

وفتحت الباب . . وكان الأثاث في هذه الحجرة أيضا عليه اغطية الغبار من فوقه . . فعبرت السجادة وتوقفت عند شيء يبدو مثل كنية ، ورفعت ملاءة الغبار وسلطتها على الوسائد الحريريّة التي تحتها ، ثم قادت على فيليب قائلة :

— فيليب ، اذا كان لابد أن نخفيه لاي سبب .
فهذا يبدو مكانا طيبا . . تحت ملاءة الغبار !

وتطلعت الى ساعتى . . الثانية عشرة الا خمس دقائق . . كانت احدى النوافذ تطل على الطريق الذي تدخل فيه السيارات . ولا يوجد اى اثر لها . . ذهبت الى مكتب هيبوليت والتقطت سماعة التليفون ، وحاولت مرة اخرى أن اتصل بوليم في مقهاه ، وجاءنى صوت رجل :

— مقهى كوك هاردى !
انه ليس نفس الصوت السابق ، فقلت بشغف :
— ولیم ؟ هل هذا انت يا عزيزى ؟ انا لندا . . !
— لندا ؟ اعتقد أن هناك خطأ ما . .

- أنا .. اليس هذا وليم ؟ أوه يا لستيفي .. أنا
أسفة يامسيو .. هل يمكن أن تحضره لى ، لو سمحت ؟
- طبعا يامدموازيل .. ولكن وليم من ؟

- أوه ، وليم بليك ، الشاب الانجليزى .. هل هو
موجود ؟

- نعم ، انه هنا .. سأحضره لك !

وسمعتة يضحك اثناء ابتعاده .. وتساءلت ماذا
سوف يقول لوليم . وقال لى وليم ولى صوته ريبة وعدم
تاكيد :

- أنا بليك . من أنت ، من فضلك ؟

- أنا أسفة اذا كنت قد سببت لك أية مشاكل ..
أنا لندا مارتن !

- أوه . انك أنت .. الساقى قال انك فتاتى ،
ولم أستطيع أن اخمن .. هل أنت بغير ! والصبى .. ١٩

- بحق السماء ! هل يسمعك أحد يا وليم ؟

- ماذا ؟ أوه ، نعم ، اظن انهم يستطيعون . ولكنى
لا اعتقد انهم يعرفون اللغة الانجليزية ..

• حسن ، كن حريصا جدا ولا تجعلهم يسمعون
أنا .. أنا في حاجة لمساعدة ..

فقال بهدوء :

• بالطبع .. لقد سمعت القصة التي يقولونها عنك
هنا ، وكنت على أمل أن .. متوقعا أن تتصلى بى ..
ماذا أستطيع أن أقوم به ؟

فقلت فى امتئنان :

• أود ، وليم .. اسمع ، لا أستطيع أن أشرح
الآن .. اننا فى أمان .. ولكن .. سوف أكون ممتنة
جدا جدا اذا أتيت حالا .. ليس هناك خطر الآن ربما
ستحدث مشاكل .. أنا أعرف أنى أطلب الكثير ..
ولكن ...

فقال وليم ببساطة :

• أخبرينى أين أنت ، وسوف أحضر .. هل أنت
فى ايفيان ؟

• لا ، لا .. اذن لقد أخبروك أننى اتصلت ؟

• نعم ، لقد عدت لتوى من ايفيان .. انهم لم
يتذكروك فى مقهى ماريان ..

- أوه ، أنا أسفة ! هل شاهدت راؤل دى فالى هناك ؟

- انا لا اعرفه .. هل هو يبحث عنك ، أيضا ؟

- نعم !

- أوه ، كنت أعتقد أنك سوف .. قال أحدهم ..
وتوقف دون أن يكمل ..

- مهما كانت القصة التى سمعتها ، فهى ليست حقيقية . اننا وحدنا ...

فقال وليم بابتهاج :

- أوه .. آه .. نعم ، حسن ، أخبرينى اين أنت الآن ، وسوف أحضر فوراً ..

وشرحت له كيف يصل الى فيلا انا وأنهيت المكالمة .
وبمجرد أن وضعت سماعة التليفون سمعت صوت سيارة
تدخل عبر البوابة ، وامسك فيليب يدى وشدد عليها
قائلاً :

هاهو !

فقلت وأنا ارتعد :

- حمدا لله ، لقد انتهى الأمر .

واسرعت راكضة في الممر وفيليب من خلفي .

وثوقفت عند قمة السلالم . لم تكن أنوار القاعة مضاءة ، وكان الباب الأمامي مفتوحا ، ووقف رجل عند المدخل ، وأحدى يديه مرفوعة لإدارة مفتاح النور . استطعت أن أرى الظل على ضوء المصباح الخلفي : كان رجلا طويلا متين البنيان ، يقف ساكنا تماما ، كأنه يتسمع .

أقلعت في هبوط السلالم ، وكانت قدمي لا تصدران أي صوت على السجادة السمكية . . . ورأني ، فرفع رأسه وقال :

— هذا هو أنت !!

كان هذا كل شيء ، ولكنني تسمرت وكأنه قد أطلق على النار . . . وأردت للحظة مجنونة أن أستدير وأجري ولكنني لم أستطع الحركة . وقلعت في صوت لم أعرفه :

— راؤل ١١٩

— نعم !

وأضيت الأنوار ، وتطلعت إليه عبر القاعة الخالية . . . وقد نسيت كل شيء عن فيليب وعن هيووليت وعن

وليم بليك المندفع قادما من سوبيرو ، لم استطع ان ارى
شيئا سوى الرجل الواقف هناك رافعا بصره نحوى .

واغلق الباب من خلفه . كان شاحب اللون جدا ،
وكانت عيناه في صلابة الأحجار . كان يبدو شبيها بليون
دى فالى .

— انه هنا ؟ فيليب ؟

واستطعت سماع الحنق فى صوته .

عندئذ راه عند قمة السلالم . وفى ثانية كان يعبر
القاعة ويركض صاعدا السلالم . وبطريقة عمياء سبقته
ووقفت على قمة السلالم أمامه واستدرت لأواجهه ،
وصرخت ، رافعة يدي بلا جدوى ، لأمنع راؤل :

— أجرى يافيليب أجرى !

وتوقف حيث كان ، تحتى بثلاث درجات . لم يكن
يتطلع الى فيليب . كان يتطلع الى ، وقال :

— فهمت !

وأنا أيضا . فهمت ماقد فعلته فى صدمتى وغبائى .
وفهمت النظرة التى ظهرت على وجهه ، كانت نظرة

كبرياء مريرة تحبس الحنق وكل احساس آخر . وعرفت
اننى قد حطمت عالمى بيدي .. وقال بثبات شديد :

— عندما وصلت فالى هذا الصباح اخبرنى والدى
انك قد ذهبت . قال انه اعتقد انك اتصلت بى .. كان
هناك سببا واحدا فقط استطعت ان افكر فيه لعدم اتصالك
بى تليفونيا : وهو ان مكروها قد حدث لك . وعندما
قلت ذلك لأبى ، اقسم بانه لن يلحق بك أى اذى .. ولم
أصدقه !

كنت ابكى فى صمت .. ولم أستطع النظر اليه .
وواصل راؤل حديثه :

— اخبرته عندئذ اننى نويت ان اجعلك زوجة لى ،
وانه اذا حدث أى شئ لك أو للصبي ، فسوف أقتله
... أبى ... بيدي ..

ونظرت اليه عندئذ وقلت :

— راؤل .. !!

ولكننى لم أستطع الكلام .. فقال ببطء :

— نعم ، اعتقد انى عنيت ذلك بالفعل !!

الفصل العشرون

لم يسمع أحد منا السيارة الأخرى .. وعندما
تأرجع باب القاعة مفتوحا ليسمح لدخول شخصين
.. رجل وامرأة .. قفزنا نحن الاثنان .. كان الرجل
غريبا بالنسبة لى ، وكانت المرأة هى ميلواز دى فالى !
.. لم يرفعا بصرهما اليها ، لأن مدبرة المنزل ظهرت فى
هذه اللحظة ، وقالت مرحبة :

— مسيو ، مرحبا ! أه ، كم أنا سعيدة ...

وقطعت كلامها فجأة ، اثناء تطلعها الى ميلواز .
ثم قالت :

- أوه .. هل الدام مريضة ؟

لاحظت عندئذ أن هيلواز كانت متعلقة بذراع
هيوليت ، وكأنها في حاجة لمساندة ... وقال هيوليت :

- مسيو راؤل هنا ؟

- لا ، ليس بعد ياسيدى . انه قال ..

- ولكن سيارته في الخارج ..

استدار راؤل وقال :

- مساء الخير يا عمى .

فزعت مدبرة المنزل وتطلعت اليه في إندهاش ،
وقالت هيلواز في رعب مرسوم على وجهها :

- راؤل !!

ثم راتني خلفه ، فصرخت :

- آنسة مارتن !!

نظر الى هيوليت بدون تعبير ، وأعطى ايمساء
صغيرة الى راؤل وسأله :

- عثرت عليهما ؟ هل فيليب هنا أيضا ؟

- نعم ، انه هنا !

فقلت هيلواز :

- سالما .. ومعافى .. ١٩

كان صوت راؤل جافا جدا وهو يقول :

- نعم يا هيلواز ، سالما .. كان مع الآنسة مارتن !

وقال هيبوليت :

- اعتقد من الأفضل أن نتحدث ونناقش هذا الأمر
بهدوء . دعونا نصعد الى حجرة المكتب . تعالى
يا عزيزتى هيلواز !

وساعدها فى الصعود على السلالم ..

لم يتطلع الى احد . كنت ظلا ، ولست شخصا
حقيقياً .. لا شيء سيحدث لى الآن . كنت سالمة ،
وتمنيت لو كنت قد مت ..

وعندما وصلنا حجرة المكتب اتجهت الى الباب
المؤدى الى حجرة الجلوس وقلت :

- فيليب ؟ كل شيء على مايرام ، يمكنك ان تاتى
.. عمك هيبوليت هنا !

ولسبب أو لآخر اتجه الآخرون أيضا الى حجرة
الجلوس الباردة . لقد رفع هيبوليت الغطاء من فوق
الكنبة ، وجلس واضعا إحدى يديه حول فيليب .
ووقف راؤل مستندا على المدفأة . وجلست هيلواز على
كرسي صغير مغطى بحرير ذهبي ، وسقطت صلاة
الغبار التي كانت تغطيه عند قدميها . كانت تبدو
متعبة .

جلست مبتعدة عنهم قدر الامكان . كان هناك حديث
سيتم بينهم . حسن ، دعيمهم يجرونه ، عائلة فالى
هؤلاء . ولم يعد لى أى شأن بذلك !

ورفعت رأسى وتطلعت اليهم ، وهم جالسين في هذه
الحجرة الجميلة الميتة . كان هيبوليت يتحدث برقة مع
فيليب . وعلى وجهه ، أيضا ، كان يحمل شكل عائلة
فالى بوضوح قوى : كان نسخة أصغر والطف من ليون
.. واستطعت أن أرى نفس القوة الجامدة فيه ، بجانب
اللطافة ..

قال لراؤل بصوته الهادئ :

— هيلواز قابلتني عند الطائرة . . . لقد أخبرتني
بقصة غريبة نوعا ما . . .

فقال راؤل :

— من الأفضل أن تخبرني هذه القصة . . أريد أن أعرف أي شكل من القصص قدمت لك .

فاصدرت هيلواز صوتا خافتا . . وقال هيبوليت :

— يا عزيزي راؤل . .

فقال راؤل :

— انتبهى ، من الأفضل لنا إذا قلنا الحقيقة ببساطة . . تعرفين يا هيلواز ، كان أبى أمينا تماما معى هذا الصباح . . لذلك فلا فائدة من التظاهر أكثر من ذلك . لماذا لا تقولين لهيبوليت الحقيقة ؟

ولم تحر جوابا ، ولكنها غاصت أكثر فى كرسيها . وراقبها راؤل لبرهة بدون تعبير ، ثم قال :

— حسن ، إذا كانت لن تتكلم ، فمن الأفضل أن أخبرك بنفسى .

فقال هيبوليت :

— نعم . . أعتقد أن عليك ذلك . فحاليا ، لا شيء واضح . . لقد اتصلت بى تليفونيا فى اثينا مساء الاثنين لتطلب منى أن أعود للبيت ، لأنك كنت قلقا على فيليب . . تحدثت عن حوادث ، وصمعت على أن فيليب فى خطر .

بشكل أو بآخر . وقلت أيضا شيئاً ما غير واضح تماماً
من مربية فيليب . . وهيلواز ، أيضا ، تحدثت عنها
الليلة . . وبشكل غير واضح أيضا . وفهمت أن هذه هي
الفتاة المعنية .

فقال راؤل :

– يمكنك أن تنسى مربية فيليب .

(يقصدني أنا . . أنه حتى لم يتطلع الى)

– ان القصة تبدأ وتنتهي بوالدي . . ان الذي يجب
أن تعرفه ياعمى هو الآتى : أخوك . . بمساعدة ، أو
على الأقل بمعرفة ، زوجته . . قد حاول منذ وقت مضى
قتل فيليب !!

أصدرت هيلواز انينا خافتا ، ورايت الطفل ينظر
اليها . فقلت في صوت جامد خافت :

– فيليب عمره تسع سنوات فقط . . لقد مر بالكثير
اليوم . أقتراح أن تسمحوا لى أن أخذه تحت الى مدبرة
المنزل !

فقفز الجميع وكان واحداً من الكراسى المغطاة
بالملاءات البيضاء قد تكلم ، ثم قال هيوليت :

- بالطبع لابد ان ينزل للطابق السفلى . ولكنى
أفضل ان تبقى أنت هنا لو سمحت .. دق الجرس :
من فضلك يا راؤل !

فأطاع راؤل ، وظهر خادم عجوز فى الحال . فقال
هيبوليت :

- جاستون ، من فضلك اصطحب السيد فيليب الى
الطابق الأسفل . واحضر له شيئاً يأكله . وجهز له
حجرة .. الحجرة الصغيرة التالية لحجرتى . على
ما أعتقد .. فيليب .. جاستون سوف يعتنى بأمرى !

وقفز فيليب . مبتسماً ، وركض الى جاستون وأخذ
يده .. وأغلق الباب من خلفهما ..

وعاد هيبوليت مرة أخرى الى راؤل ، وقال :

- حسن ، من الأفضل ان تستمر فى قصصك ..
وانصحك أن تتأكد من الحقائق . انه أخى ، تذكر !

فقال راؤل بخشونة :

- وهو أبى أيضاً .. أما بخصوص حقائقى . فأنا
ليس لدى الكثير ، ولكن يمكنك معرفتها . حسن ، أنت
تعرف خلفية القصة . اذا لم يولد فيليب على الاطلاق ،

لكان أبى يمتلك فالى ، الذى يحبها حبا غير عادى •
وعندما لم يتزوج أخوه الأكبر .. وبالطبع ، كان الأكبر
بكثير من أبى .. كان متأكدا أن فالى ستكون فى يوم
ما ملكه .. ولذلك استخدم دخله من عزبته الخاصة فى
بلغين ، من أجل فالى .. لقد قمت بإدارة شئون بلغين
منذ كنت فى التاسعة عشرة ، وأعرف كيف كان يأخذ
بشكل ثابت كل دخلها .. ولقد تنازعت أنا وأبى على
ذلك مرات عديدة • ومهما كان ، فإن بلغين ستكون ملكى
أيضا ، ولم أكن على يقين من أن أيتين لن يكون له
ولد ..

فقال هيبوليت :

— أعرف • ليون لن يسمع الكلام أبدا ..

فقال راؤول :

— حسن ، وفى النهاية تزوج أيتين فعلا ، وأنجب
فيليب • فكانت النتيجة الفورية أن دخل بلغين قد أعيد
مرة أخرى الى حيث يجب أن يكون ، وكانت وظيفتى
أن أحاول إعادة بناء المكان ثانية .. لابد أن أقول أنى
استمتعت بالكفاح .. ولكن فى العام الماضى مات أيتين
.. وفى الحبال بدأ فالى فى أخذ المال من بلغين مرة
أخرى ..

رفع هيوليت بصره قائلا :

- بهذه السرعة ؟

- نعم . ارى انك تفهم ما يعنيه ذلك . لا بد انه
قرر عندئذ ان امرا ما يجب ان يجرى بخصوص فيليب .
وهناك احد عشر سنة قبل ان يستلم الطفل الاملاك ..
وقد تسنح الفرصة .

فقال هيوليت بقسوة وبحدة :

- تاكد من الحقائق التى تقولها .

- انى كذلك . ساوفر الوقت والازعاج اذا اخبرتك
الآن ان ابنى قد اعترف بنيهته فى قتل فيليب !

ومرت برهة صمت طويلة . وبدا هيوليت فجأة
متعبا جدا ، وقال :

- حسن جدا . ساقبل ذلك . لمن اعترف بهذا ؟

- لى .. لا تعبأ ، انه مازال مجرد امر عائلى .
تحرك هيوليت فى كرسيه وقال :

- فهمت . وهكذا ذهبت انا الى اليونان وتخليت
عن فيليب ..

فقال راؤل في ثبات :

- نعم . بالطبع لم أدرك عندئذ معنى التغيير في بلغين . فالمرء لا يتوقع أن يكون أبوه قاتلا . كنت في حيرة من أمرى وحائقا لا أكثر . وأصبح بيننا شجار دائم ، وعندما عدت الى قالى في بداية ابريل ، فكرت في أن أعرف كيف تسير أمور فيليب هناك . . . انه لم يكن أبدا منزلا طيبا للأطفال . . . ولكن الأمور كانت تبدو على مايرام ، ثم وقع في اليوم الثانى حادث خطير .

واستمر في اطلاع هيبوليت عن اطلاق النار في الغابة . . . فبدأ على هيبوليت انزعاج شديد ، وحملت هيلوان في الأرض . . . ورأيت أن الحرير الذهبى الرقيق لذراع الكرسي قد تمزق تحت أظافرها ، فقال راؤل :

- وحتى عندئذ ، لم أشك فيما يجرى . فالمرء لا يفكر بهذه الطريقة طول الوقت .

- لكنك شككت بما فيه الكفاية حتى جعلك الشك تعود ثانية في عيد الفصح ؟!

كان راؤل مشغولا في اشغال سيجارة ، وبعدها قال :

- لم يكن الشك ، مع ذلك ، هو الذى أعادنى
ثانية .. ولم يكن حتى ليلة حفلة عيد الفصح ، أننى
رأيت فعلا شيئاً أقلقنى . ولكن فى تلك الليلة ، كان
هناك امران . أولا ، أخبرتنى الأنسة مارتن بوقوع حادث
آخر .. أفریز فى الشرفة الغربية تخلخل فجأة بشكل
خطير . ولولا أنها لاحظته ودفعت بشيء ما تحته فأنقذ
فيليب من نهاية بشعة على القضبان الحديدية السفلية .

وهنا التفت هيبوليت لينظر الى . وجعلنى التعبير
الذى على وجهه أتساءل ما الذى قد أخبرته هيلواز عنى
.. بالتأكيد أنه بدا مندهشا الآن ، بينما استمر راؤل
فى التحدث عن وليمة منتصف الليل .. وكأنه بدا يأخذ
صورة مختلفة تماما عنى ، ثم قال راؤل :

- وعندئذ ، كان هناك امر غريب جدا بخصوص
هيلواز فى تلك الليلة .. لقد بدت خائفة .. ولكنها
الحادثة الثانية هى التى أزعجتنى بالفعل . وكان هذا
هو السبب فى أننى اتصلت بك تليفونيا .. خيل لى أن
أفضل شيء يجب فعله ، من أجلنا ، هو أن نواجهه
سويا ونتيقن بما كان يحدث .

ومرت برهة صمت أخرى ، استمر راؤل بعدها
قائلا :

- ومبكرا في الصباح التالي ، وكان يوم الثلاثاء ،
 جاءتنى مكالمة من باريس . كانت بعض الأعمال المتعلقة
 ببلفين . وكانوا يحتاجون الى على وجه السرعة .
 حسن ، لم أرغب في مغادرة فالى ، ولكنى قلت لنفسى
 انه لا يوجد سبب للقلق . . . لقد أرسلت اطلبك ، وعرفت
 ان الأنسة مارتن يمكن الوثوق فيها لترعى فيليب .
 ونويت ان أبقي في باريس حتى مساء الأربعاء ، ثم
 التقى بك عندما تصل من اثينا ، ونذهب الى فالى سويا
 يوم الخميس . ولكنى بدأت أشعر بالقلق مساء الثلاثاء ،
 فقررت ان أعود الى فالى بأسرع ما أستطيع ، فحصلت
 على مقعد في الطائرة المبكرة في الصباح التالي ، وقدت
 سيارتى مباشرة الى فالى . . . وصلت هناك لأجد ان
 الأنسة مارتن وفيليب اختفيا .

ثم التفت الى هيلواز قائلا :

- على فكرة ، كيف فسرت ذلك لعمى ؟

ظلت صامئة ولم تتكلم . كان وجهها رماديا وميتا
 . . . وتحركت أصابعها فقط ممزقة الحرير الذهبى من
 تحتها .

بدا هيبوليت في حرج شديد وهو يقول :

– انها لم تكن واضحة تماما • ولكنى فهمت ذلك •
وعندئذ تكلمت أخيرا وقلت :

– لا يهم ذلك ، سأخبرك بما حدث • لقد اكتشفت
مساء يوم الثلاثاء ما كان يخططه مسيو دى فالى ••
شرب برنارد حتى السكر فى حفلة الرقص وأخبر بيرث ،
أحدى الخادومات ، التى أخبرتنى بالقالى • كان لابد
أن أبعد فيليب •• أنا •• أنا لم أعرف أين اذهب ••
لقد اختبأنا ، ثم جئنا هنا لنتنظرك •• هذا كل شيء !

استطعت أن اشعر بعينى راؤل على •• وكان طول
الحجرة يمتد بيننا ، فكانت تبدو المسافة مهولة ••

التفت هيبوليت مرة أخرى الى راؤل ، وقال :

– استمر • عدت ووجدت أنهما قد ذهبا • أظن
انك عندئذ اتهمت ليون بصراحة ؟

– حدث • لم أستطع التفكير سوى فى تفسير واحد:
أن لندا •• الآنسة مارتى حصلت على دليل أن فيليب
أصبح فى خطر ، وقد أخذته وابتعدت به •• ولت نفسى
بشدة لأنى تركتهما ، ولذلك طلبت تفسيراً من والدى •
– نعم ؟

— لم يكن نقاشا سارا • بدأ بقوله أن كل شيء كان كلاما فارغا • ورفض أن يعترف بأى شيء • وأوحى بأن الأنسة مارتن قد تكون لديها أسباب وجيهة لايذاء فيليب هي نفسها • وكانت هذه الفكرة ، بالطبع ، مضحكة • فآخبرته عندئذ أنى أنوى أن أجعل الأنسة مارتن زوجة لى ، وإذا حدث لها أى مكروه ، فسوف •• حسن ، لا حاجة لنا لمناقشة ذلك •• فظهرت عليه الدهشة ••

وهكذا كان حال هيبوليت ، وألقى بنظرة سريعة على ، ثم قال راؤل فى صوت جاف :

— وعندئذ ، غير موقفه • واقترح أننى يجب •• أن ••• أن انضم له ، والأنسة مارتن أيضا ، وأشار إلى المزايا التى سوف أحصل عليها أنا وزوجتى من وفاة فيليب • ولم يحاول أن يفهم أننى قد لا أنجذب للعرض • واقترح أن أعثر على لندا وأجعل الناس يعتقدون أنها قد هربت لمقابلتى • وعندئذ يمكننا أن نقدم لك بعض الاستفسارات ، وتعود أنت إلى اليونان ، ونتعامل نحن مع فيليب فيما بعد •

تعمق الغزع فى وجه هيبوليت وهو يقول :

— اكمل ا

- لم أقل الكثير .. أنا .. لا أستطيع . مجرد
 أنفنى قلت : لا أنا ولا لنذا نوافق على ايذاء فيليب ..
 وقلت . من الأفضل أن نعثر على الاثنين المفقودين بسرعة
 .. وفكرت ان لنذا قد تكون اتصلت تليفونيا بشقتى
 بعد مغادرتى لها . فاتصلت لأكتشف ذلك . ولكنها لم
 تفعل . فكرت عندئذ ان يكون أبى قد كذب بخصوص
 هروبها من عالمى . وان امرا ما قد حدث لهما . وهكذا
 .. اوه حسن . ليس مهما ذلك الآن . وعرفت أنى كنت
 مخطئا عندما دخل برنارد . لأنه قال ان أبى قد أرسله
 للبحث عنهما . ووضحت لبرنارد الأمر تماما على أنه
 من الأفضل له ان يعمل معى حاليا .. وفهم ان اللعبة
 قد انتهت ! .. وأرسلته ثانية ليستمر فى البحث .
 وخرجت أنا نفسى بسيارتى . هذا كل شيء !

وجلست لا افعل شيئا سوى النظر الى قدمى ...
 كان هذا كل شيء . وعلمت فيما بعد انهم نقبوا الوديان
 لمدة ستة عشر ساعة متوالية . واتصلوا بباريس
 تليفونيا وقاموا بالبحث والاستقصاء فى المستشفيات ..
 ثلاثة أمور أصبحت واضحة لى الآن : أولا . ان
 ليون لم يكن يعرف ان راؤل يريد ان يتزوجنى بالفعل ..

ثانيا : ان راؤل لا يعرف شيئا عن المؤامرة العريضة
الاخيرة في محاولة تسميم فيليب .

ثالثا : منذ قدوم راؤل للبيت وانا وفيليب لم نكن
في اى خطر . لقد كنا في امان طوال اليوم بسبب راؤل .

وخيم الصمت وطال السكون . ونظرت لنهاية
الحجرة . . كان الرجلان يراقبان المرأة الجالسة على
كرسيها . . كانت ساكنة تماما . . كانت تسند ظهرها
على الكرسي وكأنها بلا عظام ، وكانت يداها اخيرا
بلا حراك على الحرير الممزق لمسندى الكرسي . وكانت
عينها الشاحبتان مفتوحتين تماما . . ولم تكن في حاجة
للتكلم . .

كان صدق القصة مكتوبا على وجهها . . !

الفصل الحادى والعشرون

انفتح الباب ودخل فيليب . كان يحمل فنجانا من الشورية ، يتصاعد منه البخار ، بحرص شديد بين يديه ، وأحضره لى قائلا :

— هذا لك . . . لقد اجتزت يوما صعبا ، أيضا .

— أوه ، فيليب . . .

ولم استطع أن أقول أكثر من ذلك .

كان ينظر الى هيلواز الصامتة الساكنة فى كرسيها ، ثم قال لها :

— عمتى هيلواز ، هل تريدین أن أحضر لك فنجانا
ایضا ؟

فبدأت تبکی عندئذ ، بصوت رفیع جاف بشكل يؤلم
من يسمعه ، فقلت بسرعة :

— العمة هيلواز ليست على مايرام . من الأفضل
أن تعود ثانية الى جاستون الآن ، يا حبيبى !
فألقي نظرة تعجب ، وذهب في خضوع ..

كانت هيلواز تبکی ، ولكن بدون دموع في عينيها ..
وكان جسمها يرتعش . ونظر هيپوليت اليها بشكل
عاجز .. ثم انتقل الى كرسى بجانبها وأخذ احدى
يديها بين يديه ووقف راؤل بعيدا عنهما ولا يزال مرسوما
على وجهه ذلك التعبير المتجمد وهو يخفى أحاسيسه .
وبدأت هيلواز تتكلم أخيرا . كان صوتها فظيعا ،
رفيعا ولاهثا ، وقالت :

— انه حقيقى نعم ، مايقوله حقيقى يا هيپوليت .
لقد استطاع أن يجعل ليون يتكلم .. كان منظرا فظيعا
بينهما .. ولكنى سعيدة أنك عرفت يا هيپوليت . سوف
تخرجنا من هذه الورطة ، أليس كذلك ؟ انها ليست
موضوعا للشرطة .. انها موضوع داخل العائلة فقط !

.. برنارد لن يجرؤ على الكلام .. وراؤل لا يستطيع
أن يقول شيئاً .. ليون أبوه ، اليس كذلك ؟ لم يقع أى
مكروه .. فالولد بخير والفتاة على مايرام . لا تنظر
الى هكذا يا راؤل . فالفتاة مارتن تحبك : ولن تفتح
فمها ، و ..

فقال هيبوليت بالفعال بعد أن ابتعد عنها :

— ميلواز ! عرفت كل هذا ؟ أنت ؟ !

فغاصت للخلف فى كرسيها وقالت :

— نعم ، نعم ، نعم .. كل شيء أبلغك راؤل به ..
ساعترف بكل شيء ، اذا ساعدتنى .

والتقت بنظرته المتحجرة وتغير صوتها :

— أنا .. أنا لست شريرة يا هيبوليت .. أنا لم
أرد أن أضرب فيليب ، ولكن .. حسن ، انه كان من أجل
ليون .. فعلت ذلك من أجل ليون ، لقد تحمل بما فيه
الكفاية ، دون أن يبعد عن بيته !

فقال هيبوليت :

— .. اننا نناقش أمرا أكثر جدية بكثير . محاولة قتل
... لطفل !

- نعم ، نعم ، أعرف . . انه كان خطأ ، انه كان
اشما . . ولكنه لم يحدث ، اليس كذلك ؟ أوه ، سوف
تكلم ليون بخصوص هذا ، أستطيع قول ذلك ، ولكنك
ستعمل على أن يبقى في عالمي ، اليس كذلك ؟ يمكنك
الوصول الى بعض الترتيبات ، اليس كذلك ؟ . . اليس
كذلك ؟

- لا فائدة من الكلام أكثر من ذلك الآن يا هيلواز .
بدت غير منهيطة . لقد تحطم شيء ما في داخلها ،
والآن لم تستطع التوقف عن الكلام :

- سوف تقتله لو ذهب الى بلغين ! وكل مالنا في
عالمي ! عالمي دنياه ! كان لا يجب أن يولد هذا الطفل
أبدا !

ووضعت يديها على وجهها ، بينما انهمرت الدموع
من عينيها . . وفي تلك اللحظة انفتح الباب بعنف ،
واندفع وليمليك للداخل مثل دب غاضب ، فقال
هيوليت :

- من أنت بحق الشيطان !؟

ونظرا لأنه قالها باللغة الفرنسية ، فلم يعره وليم
أي انتباه . . كان يبدو ، كالعتاد ، مهولا ، انجليزيا

صرفا ، بشعره الأشقر المشوش ، ومسالما جدا • وحملق
في نهاية الحجرة نحوى . وقال :

– لندا ! ما الذى يحدث هنا ؟ هل أنت بخير ؟

– أوه ، وليم !

وركضت اليه عبر الحجرة بطولها •

انه لم يطوقنى في ذراعيه بالضبط ، ولكنه أمسك
بى . وقال :

– ها أنت ، بخير ! هل أصابك أى مكروه ؟

– لا ، أوه لا ، أوه وليم •• خذنى من هنا !
ومن خلفى سمعت هيبوليت يقول :

– هيلواز ، من فضلك • يجب أن تتحكمى في نفسك •
سوف تضررين بصحتك •

وقال وليم :

– تمام • سوف نخرجك من هنا !

ووضع ذراعا حول كتفى وأدارنى نحو الباب ••

ولكن منظر هيلواز ، التى مازالت تبكى لا تملك

السيطرة على نفسها ، كان كثيرا جدا على ، فقلت :
- انتظر يا ولیم ..

وركعت على ركبتى أمام الكرسي الذهبى الصغير
.. كنت راكعة عند قدمى راؤل . ولم أرفع بصرى
اليه ، وهو لم يتحرك اطلاقا .. وامسكت بيديها وقلت :

- مدام ، لا تبكى . لا تبكى أكثر من ذلك ! ..
لقد انتهى كل ما فى الأمر الآن . هاك ، خذى منديلى ..
لماذا .. أنت باردة ! ولم تكونى على مايرام فى الفترة
الآخيرة ، اليس كذلك ؟ هل ندخل حجرة المكتب ، حيث
أنها دافئة ؟ دعينى أساعدك على النهوض !

قامت على قدميها متييسسة ، وأخذت بيدها الى
حجرة المكتب . وسارت معى طوعا ، وكأنها كانت تسير
وهى نائمة . كانت مازالت تبكى ، ولكن فى هدوء ..
وتبعنا الآخرون .

أجلستها على كرسي قريب من المدفأة ، وركعت
ثانية بجانبها . لا أدري تماما ما قلته لها بعد ذلك ،
ولكن البكاء توقف بعد قليل ، وقالت فى صوت خفيض
ميت :

- أحبتك يا آنسة مارتن .. أحبتك من البداية !

- أعرف أنك أحببتنى .. أن الأمر الآن على مايرام .. ولا تقلقى الآن ، و ..

- أنك فعلا لا تلاميذ على الحوادث ، تعرفين لم نقصد أن نلومك فى البداية .. ليون أحبك أيضا • أنه قال : انها شجاعة كشيطان صغير ، وليس من الرحمة اذا تسببنا لها فى اذى ..

فقال راؤل بهدوء :

- ماذا كان يعنى بذلك ؟

ولم تمر ذلك انتباها .. وبدت واعية فقط بنفسها
وبى .. ثم قالت :

- وقال من يوم أو يومين فقط • طبعاً ، بعد الحادث الثانى ، فى الشرفة • عرفنا أن علينا أن نطردك .. وقال أنك متيقظة أكثر من اللازم : وأنك ستبتدئين فى الشك فىنا ، اذا حدث أى شىء آخر • وكنا مضطرين عندما منحتنا عذرا لابعادك • وفكرت أنت أنى كنت خائفة اليس كذلك ؟

- نعم ياامدام ..

- ثم وصلتنا البرقية من هيبوليت .. وكان علينا

ان نفعل شيئا بسرعة .. وكانت هناك قصص في القرية
عنك انت وراؤل ، وعن انك على وشك الابعاد والطرد ،
فقال ليون ان هذا سيكون مفيدا فيما بعد .

وسمعت راول ياخذ نفسا كأنه سيتكلم ، فقلت :

- نعم ، اعرف . البرتين بدأت في الاشاعات اليس
كذلك ؟

- لم تكن تعرف ما كنا نحاول القيام به . ولكنها
لم تكن تحبك . انها لم تحبك اطلاقا .. انها هي التي
ابلغتنى بالخطأ الذي قمت به بخصوص الدواء في ذلك
الوقت ، وارادت ان افكر في انك مهمة . ولكن ذلك
اعطانا فكرة استخدام الأقراص المنومة لتسميم فيليب
.. كان في السكر ، السم كان في السكر الذي تستخدمه
في شيكولاتته .

- مدام ..

- ومن حسن الحظ لم يبق كثير من السكر في
العلب ، وهكذا ازلنا اللون الأزرق من الأقراص
وسحقناها وأعدنا خليطا قويا . ربما اقوى من اللازم
.. ولعله كان شديد المرارة ، لأنه لم يتناوله ، اليس
كذلك ؟

— لا ، ولكن هذا لم يكن السبب .

والفتت الى هيبوليت وقلت :

— هل لى أن اطلب بعض القهوة يامسيو دى فالى ؟
.. فى الحقيقة اعتقد ..

فقال هيلواز :

— لم يكن لدينا وقت لنفكر فى أى شىء افضل ..
كان المقصود أن تبدو كحادث .. وإذا كان قد تناولها
ومات ، لما فكروا فى جريمة قتل .. الأقراص المنومة
زرقاء والدكتور كان سسيفكر أنه اخذها كحلوى ..
والاطفال يفعلون ذلك أحيانا . ونوينا أن نتخلص من
بقية السكر المسموم ، ونترك قرصاً أو اثنين بجانب
فراشه . وكنت سأضع زجاجة الأقراص نصف فارغة
فى علبة على منضدة حجرة الدراسة ، حيث يمكن أن
يكون هناك اعتقاد بأنه عثر عليها وأكل نصفها . وقد
يظن رجال الشرطة أنك كنت مهملة فقط ونسيتى أن
تعطيها لى ..

ومن خلفى ، قال راؤل :

— ماذا تقولين يا هيلواز ؟

فكررت قائلة بدون تعبير :

— استخدمنا أقراص المنومة لتسليم فيليب . أنها قوية جدا . . ليون قال انها كافية لقتل طفل . سحقناها وخلطناها مع السكر . . السكر التي تستخدمه الأنسة مارتن لشيكولاتة فيليب . . ولكنه لم يشربها ، والحمد لله . .

فقال راؤل :

— وإذا وضع اللوم على الأنسة مارتن ؟ وإذا كانوا قد شكوا في جريمة قتل ؟ لقد عرفت ، ليس كذلك ، أنها هي وأنا . . هؤلاء الناس كانوا سيقولون أن لديها سببا في أن تمنى الموت لفيليب ؟ هل ذلك هو السبب الذي قال من أجله أبى أن القصص التي قيلت عنا قد تكون مفيدة فيما بعد ؟

ولم تقل شيئا ، ورفعت بصرها محمقة فيه ،
وسالها :

— وفي مساء يوم الثلاثاء ياهيلواز ، من هو الذي اكتشف أن فيليب قد ذهب ؟

— ليون ، انه ظل مستيقظا . فكر في أن فيليب قد قد شعر بالاعياء وذهب الى الأنسة مارتن . ولكن

حجرتها كانت خاوية ، أيضا • ثم أرسل برنارد لـيبحث
عنهما •

فقال راؤل :

- بهذه التعليمات ؟

فلم تقل شيئا •

- بتعليمات تؤكد على •• انهما لا يعودان ؟
ولكنها لم تتكلم • لم تكن في حاجة لذلك • مرة أخرى
كانت الاجابة الفظيعة مكتوبة على وجهها !

فقال هيبوليت بخشونة :

- هذا يكفي يا راؤل •

فقال راؤل :

- نعم ، اعتقد هذا •

ومشى تاركا الحجرة واغلق الباب من خلفه ،
فقامت هيلواز تقول :

- ليون •• لقد ذهب ليقتل ليون !

ثم سقطت في اغماءة على السجادة بجانبى •

فتحسستها وهي في مكانها ، ثم قفزت واقفة محمقة
بغباء في الباب • ثم بدا التليفون يرن •

واسرعت في اتجاه السلال • وصرخ وليم من
خلفي :

- لندا •• لندا ! أين أنت ذاهبة ؟ ابعدي نفسك
عن هذا !

وزمجر المحرك في الخارج ، وانطلقت الكاديلاك ••
وركضت هابطة السلال منطلقة الى طريق دخول
السيارات •

وامسك وليم ذراعى وقال :

- وحق الله يالندا ••

- يجب أن نوقفه ! •• ألا تفهم ؟ •• لقد ذهب
ليقتل ليون •• سوف يصبح قاتلا ، وسوف ••

- ولكن لا شيء يمكنك أن تفعله • انك قلت بنفسك
أن الأمر انتهى •• وما شأنك أنت إذا قتلا بعضهما ؟

- أوه ، يا حبيبي يا الله ، وماشاني ؟ وليم ، أرجوك
ساعدنى ، لا أستطع القيادة • أرجوك يا وليم ، أرجوك !

فقال يهدوء :

— حسن جدا ، هيا بنا !

اعتقد أن وليم كان سائقا ماهرا مثل راؤل . وفي الحال كنا خارج ثونون وفي الطريق المتجه الى فالى . ولكن راؤل كان قد بدأ قبلنا ببضع دقائق ، ومع سيارة اسرع . هل يمكننا أن نلحق به فعلا ؟

كنا على طريق الوادى المستقيم عندما قال وليم :

— ما كل هذا الذى يحدث يالندا ؟

— ماذا تقصد ؟ أوه ، أنا أنسى دائما أنك لا تتكلم الفرنسية . . . ولا حتى شكرتك على المجيء .

— لا تفكرى فى ذلك . . . ولكن يستحسن أن تشرحى لى ما هذا الذى يحدث . . .

وهكذا أخبرته القصة من البداية ، بينما كانت السيارة تزمر فوق طريق الوادى .

ولم نر أضواء الكاديلاك الا بعد أن اقتربنا من جسر فالى . وكانت الأضواء تتأرجع صاعدة المنطعات . على بعد كيلومتر واحد تقريبا .

واختفت أضواء السيارة عند القمة تحت النوافذ
الساطعة للقصر . وأبطأ وليم السرعة للصعود فوق
الجسر ، ثم توقف فجأة ، وقال :

- هل يمكن أن تمر سيارتان على ذلك الطريق ؟

- المنعطفات ؟ لا ، ولكن ..

ونظرت الى أعلى ورأيت سيارة أخرى بدأت في
النزول من القصر .. وكانت تقطع المنعطف الأول بحذر
.. وكنت ارتعد بشكل لا ارادى ، ولم أتمالك نفسى .
فصمت :

- أوه ، وليم !

فوضع ذراعا حولي :

- يا فتاتى العزيزة . لا تخافى ، ستهبط حالا ..
علينا أن نجلس فقط وننتظر ..

- طبعاً ، انك لست خائفاً ، اليس كذلك ؟

كانت عيناه رقيقتين وهو يقول :

- أما أنت فخائفة ؟ خائفة فعلاً ؟

ولم أجب . ورفعت بصرى الى قصر فالى المضاء

بشكل لامع وسط سماء الليل . نعم ، كانت قلعة أحلام
.. لندا مارتن من لندن ليس لها مكان هناك ..

وأخيرا هبطت السيارة الأخرى ومرت من فوق
الجسر ، وأصبحنا فوق المنعطفات ، نسابق متسلقين
الطريق الصاعد بأقصى سرعة ممكنة ، والخوف الذي
كان يعض معدتي كان يعضها بحدة الآن .

وأوقف وليم السيارة عند الساحة الداخلية ، وراء
الكاديلاك مباشرة .. واندفعت صاعدة السلالم الى
الباب الكبير ..

كان سيدون في البهو ، فقال :

— أوه ، أنسة مارتن !

ولكني تركته وركضت مسرعة في الممر الطويل الى
المكتبه .

لم يكن هناك أى صوت داخل الحجرة .. ودفعت
الباب بلطف ، وأخذت خطوة للامام ، وتوقفت . كان
هناك رجال عديدون في الحجرة ، ولكني رايت اثنين منهم
فقط .

كان راؤل دى فالى واقفا وظهره للباب ، محملا
الى اسفل فى ابية .

وللمرة الاولى لم يكن ليون دى فالى فى كرسيه
المحرك . لقد سقط للامام وتمدد جسده على الأرض
بشكل حرج . كانت رأسه تأخذ وضعا جانبيا على
السجادة . وكان وجهه ناعما ، خاليا الآن من الجمال
ومن الشر على حد سواء . . . وكان يوجد فوق عينه
اليمنى ثقب صغير اسود . . .

وكنت أسقط على الأرض ، لولا أن ذراعى وليم قد
حافظتا بى ، وحملنى خارج الحجرة الصامتة . . . !

الفصل الثانى والعشرون

— لندا .. لندا .. اشربى هذا !

فتحت عيني فرايت وليم ممسكا بكوب ملآن يقربه من شفتي ، وأخذت رشفة .. كان مذاقه فظيعا ، ولكنى استطعت أن أشعر بالدفء يسرى في جسدى ويعيده الى الحياة . خيل لى انى محاطة بغلالة لامعة مزمجرة .

وانقشعت الغلالة بالتدريج . كنت فى حجرة الجلوس الصغيرة ، فوق الكنبه ، وكان وليم واقفا بجانبى ، فسألنى :

— كيف تشعرين الآن ؟

فقلت في بؤس :

— اوه ، احسن .. احسن .. اننى أسفة ياويلم
اننى لم يفم على من قبل أبدا :

وجلس بجانبى .. وبدأت ذاكرتى تعمل مرة أخرى
الآن ، وقلت بآلم :

— هل ذهبوا به .. ؟

— ليس بعد ..

— أريد أن أراه .. لحظة واحدة فقط .. ضرورى
فبدا مندهشا ، وقال :

١ — ولكن يا عزيزتى لنذا ..

— متى سيأخذونه ؟

— رجال الشرطة مازالوا مشغولين .. وعربة
الاسعاف فى الانتظار ..

— اسعاف ؟ هل هو أصيب ؟ ماذا حدث ؟

ونفضت جالسة وأمسكت ذراعه ، فرايت عينيه
تبدوان مفجوعتين ، وقال :

- ولكن يالندا .. ألم تدركى انه ميت ؟

وامسكت ذراعه باحكام اكثر ، ولا بد انها ألمته ..

ونال وليم بهدوء :

- لقد اطلق النار على نفسه ، قبل حضورنا الى هنا انا وانت وراؤل بقليل ..

- اوه ! ليون ! ليون ! ليون اطلق النار على نفسه . عربة الاسعاف من أجل ليون !

وأطلقت ضحكة صغيرة سخيفة ، ثم انفجرت في الدموع ..

لم يكن موقفا سهلا بالنسبة لشاب انجليزى خجول .. ولكن وليم تصرف بشكل لبق جدا .. وأعطانى مزيدا من هذا المشروب الفظيع ، ووضع ذراعه الضخمة حولي ، وقال :

- فكرت أنك قد فهمت . كان السباقى يخبرنى بخصوص ذلك منذ قليل . عندما أحضر البراندى لك . فكرت أنك سمعت ..

- كانت تبدو كأصوات في حلم من الأحلام ..

وماذا قال سيدون ؟

— قال لي أنه ذهب ليطمئن على نار مدفأة المكتبة ،
بعد الحادية عشرة مباشرة ، فوجد سيده ميتا على
الأرض . لم يسمع أحد الطلقة . واتصل بالشرطة
والدكتور ، ثم بفيلا أنا ، ولكن لم يرد عليه أحد هناك .
— لا بد أن هذا كان قبل وصولنا للفيلا . .

— أوه ؟ حسن ، استطاع أن يتصل بمسيو هيبوليت
فيما بعد . أعتقد أنها المكالمة الذي جاءت أثناء مغادرتنا
للفيلا . هيبوليت في طريقه الى هنا الآن .

فقلت :

— هل هم متأكدين أنه قتل نفسه ؟

— أوه ، تماما . كان المسدس في يده . . وهناك
رسالة ، حصلت الشرطة عليها . واعترف بالمحاولتين
الأولتين لقتل فيليب ، وقال أن برنارد كان يعمل معه .
ولكنه قال بوضوح تام أن لا زوجته ولا راول عرفا أي
شيء بهذا الخصوص . . وقال أيضا أنك لا بد قد
اكتشفت شيئا بطريقا ما ، وهربت مع فيليب لبر الأمان .
ولم يذكر حكاية السم الأخيرة . . أظن أنه لم يرغب
في توريط زوجته .

فقلت :

- حسن ، لن أخبرهم عنلى ٠٠ فانا لا أريد أن أزيد
الأمور سوءا بالنسبة لدام دى فالى ٠٠ أنه مات الآن
٠٠ وعليها أن تعيش متحملة ذلك .

- كان هناك أمر آخر فى الرسالة بخصوص
برنارد .

فقلت ببطء :

- لقد بدأ برنارد يساعد راؤل طول اليوم .

- نعم ، ويبدو أنه أدرك أن ليون الآن لا يستطيع
أن ينفذ خطته ويدفع له مكافأته ، ولذلك قرر أن يبتزّه .
- يبتزّه !

- نعم ، ان هذا فى الرسالة . جاء ليرى ليون من
ثلاث أو أربع ساعات ، وهدده بابلأغ الشرطة عنه ، اذا
لم يدفع له مبلغا من المال ٠٠ وهذا ربما ما جعل ليون
يقرر أن يقتل نفسه . اقصد ، لا توجد نهاية للابتزاز ،
اليس كذلك ؟

فقلت بعد تفكير :

— نعم ، كان من النوع الذى لا يسمح لأحد أن
يبتزّه أبداً ، ويفضل الموت على ذلك ٠٠ ولكنى لا أعتقد
أن الأمر كان هكذا فقط ٠٠ أعتقد أنى عرفتّه معرفة
جيدة : أنه لا يحب أن يغلب على أمره ٠ جميعنا ٠
حتى فيليب ٠٠ عـرف ما قد فعله ٠٠ ولا أعتقد أن
يستطيع تحمل ذلك ٠ كان يحب أن يعتقد أنه أقوى من
أى شخص آخر ، وأنه يستطيع أن يلعب بالناس كما
يشاء ٠ لم يقدر أبداً على أن يأخذ المكان الثانى بعد
غيره ٠ أن يطلق النار على نفسه وينقذ هيلواز بالرسالة
٠٠ نعم ، هذا هو ليون دى فالى بالتمام ٠

واسندت ظهرى على الكتبة وقالت :

— حسن ، لقد صنعت أفضل نهاية ، اليس كذلك ؟
هل قبضت الشرطة على برنارد ؟

— لا ، لقد اختفى ٠ فلنأمل أن ينجو بهروبه وبعد
ذلك لن تعرف بقية القصة أبداً ٠

— نعم ، بيرث الصغيرة المسكينة ، أو ، وليم ،
اننى متعبة جداً ٠

فبدا قلقا على ، وقال :

— هل تريدان الذهاب الآن ؟

- الذهاب ، الى أين ؟ انهم لم يرجعوا بى كثيرا
في فيلا انا ، وانتوقع في يوم او اثنين سيترتب مسيو
هيبوليت لعودتي الى انجلترا .

فقال وليم :

- اود ، هاهم رجال الشرطة ، اظن انهم يريدون
استجوابك .

وعاملتني الشرطة بلطف . لقد سمعوا كل القصص
عنى من الخدم المرعوبين ، ولكن رسالة ليون دى فالى
جعلت الامر واضحا ولا مدعاة للشك في .

وتركونى عندما وصل هيبوليت . ونهضت لأذهب
وأبحث عن بيرث ؟ ولكن في تلك اللحظة دخل سيدون
بالقهوة . . . وأخبرنى أن رجال الشرطة قد عاملوها
برفق شديد ، وبعد استجوابها أرسلوها في سيارة تابعة
لهم الى منزل أمها في القرية . فاعتقدت أنها كانت
السيارة التى قد أخرجتنا عند المنعطفات . والآن كل ما
أرجوه أن تستطيع بيرث أن تنسى برنارد .

أنهيت قهوتى ورفعت بصرى لأرى هيبوليت داخل
الحجرة . وقبل أن أتكلم جاء الى الكنية ، وأخذ يدي
في يديه وقبلهما ، وقال :

— هذا من أجل فيليب .. اننا مدينون لك بالكثير
يا آنسة مارتن .. لقد جئت الآن لأشكرك وأطلب منك أن
تغفري لى استقبالى السيء لك فى فيلا أنا .

جلست بلا حراك أثناء حديثه معى ، وكان صوته
يشبه تعاما صوت راؤل لدرجة أننى لم أسمع الكلمات .
ووعيت فجأة أنه قد ترك الماضى وكان يتحدث عن
المستقبل :

— فيليب سيبقى معى فى فيلا أنا حاليا .. آنسة
مارتن .. هل يكون كثيرا لو أمل ، بعد تجربتك الفظيعة،
أن تبقى معه ؟

فحملت فيه بغضاء ، قبل أن أعى ما كان يطلبه
وقلت :

— أنا .. أنا لا أعرف .. فقط فى هذه اللحظة ..
— أدرك جيدا .. لم يكن لى حق أن أطلب منك الآن
.. انك تبدين مرهقة جدا يا طفلى .. يمكنك أن تفكرى
فيما بعد ..

وجاء صوت غريب من الممر ، صوت بطيء وثقيل
عندئذ عرفت ماهو : ليون يغادر قصر فالى .

وقال هيبوليت :

— اذا فضلت الا تقضين الليلة هنا ، فهناك مكان
من أجلك حسب ما ترغبين في فيلا أنا ..

— أوه ، أشكرك ، نعم ، أود ذلك !

— اذن اذا امكننا العثور على احد لياخذك الى
هناك .. ؟

ونظر الى وليم ، الذي قال في الحال :

— طبعاً !

خرج هيبوليت من الحجرة .

وجاء وليم وجلس بجانبى على الكنبة ، وقال :

— لنذا ..

واخذ يدي الباردتين في يديه .. كانت يداه لطيفتين،
.. يدان ثابتتان ، حساستان ، وفجأة عرفت ما
أراد أن يقوله . فجلست أكثر اعتدالا ، ونظرت اليه في
حزم ، وقلت :

- وليم ، لقد كنت مدهشا • ماذا كنت سافعل من
غيرك ، لقد كنت صديقي الوحيد •

هتال :

- الأصدقاء موجودون عند الحاجة •
وفهم ، فترك يدي ، ومرت لحظة سكون ••
وتنهض قائلا :

- هل آخذك الى فيلا انا الآن ؟

- لا ••• انا ••• انا ••• اعتقد سانتظر ••
تصبح على خير يا وليم ، و •• شكرا !

الفصل الثالث والعشرون

ونسيت ولیم تقریبا بمجرد اغلاق الباب الامامی خلفه ٠٠ وخرج شخص ما من المكتبة ، واستطعت سماع هيبوليت وراؤل ، يتحدثان بهدوء في الممر ٠٠

فتحركت تجاه الباب ، مبتعدة عن الابصار ٠٠ كان هيبوليت يقول شيئا ما عن هيلواز ٠٠ سمعت بعض الكلمات : « تبقى بالبيت » و « قلب سييء » !

ووصلوا الى البهو ٠٠ وكان هيبوليت يقول له « تصبح على خير » ، وترددت في الممر ، منتظرة ان يتركه هيبوليت ٠ وكنت ارتعش ٠٠

وسمعت راؤل يسأل سؤالا ، ولم استطع أن أسمع
اجابة سيدون تماما ، كانت تبدو مثل « ذهبت »
ثم سمعت سؤالا آخر من راؤل ، وكانت اجابة سيدون
في هذه المرة أوضح :

- نعم ، ياسيدى • منذ بضع دقائق !

فقال راؤل في صوت جامد :

- فهمت ، شكرا ياسيدون !

عندئذ أدركت ما كان يسأله • فركضت في الممر
منادية :

- راؤل !

ولكن الباب الأمامى كان قد أغلق •

ثم وصلت البهو عندما سمعت صوت المحرك يبدأ •

وقال سيدون مندهشا :

- لماذا يا أنسة مارتن ؟ لقد اعتقدت أنك ذهبت

مع مستر بليك !

فلم أجب ، واندفعت عبر البهو وخرجت في الظلام •

كانت الكاديلاك قد تحركت من قبل ، فناديت ثانية ،

ولكنه لم يسمع . وبدأت أجرى بلا جدوى . كنت مازلت
خلف السيارة بعشرين مترا عندما دلفت في أول منعنى
من المنعطفات ، واختفت عن البصر .

إذا كنت قد توقفت لأفكر ، لما كنت قد فعلت ما فعلت
ولكن كان التفكير العاقل يعوزنى آنئذ . كنت أعرف
فقط أن لدى شيئا ما لأقوله لراؤل .

واستدريت بلا تردد وأخذت المر الذى يفوص
بانحدار الى أسفل جانب التل ، تجاه جسر فالى . .
وكان المر زلقا وفي الظلام يمكن أن يكون خطرا . . ولم
أعبأ ، وكنت لا أزال أحتفظ بكشاف فيليب في جيبي .
وبواسطة ضوءه الخافت ركضت هابطة السلالم عند قمة
التل . .

وعند أول منعطف الى اليسار ظهرت أضواء
الكاديلاك . كان يقودها ببطء . . واندفعت هابطة عبر
الغابة . وكان لا يزال تحتى عندما أخذ أول منعنى ،
والثانى .

كان المر يتلوى هابطا كالثعبان . وكانت أضواء
السيارة تضئ كل الغابة حاليا ، وبدأت ظلال الأشجار
وكانها تتحرك لتمسك بى . . كان الجزء الثالث من
المنعطفات هو أطولها ، فكان المر أكثر انحدارا هنا ،

وكدت أسقط هذه مرات .. وضربني فرع شجرة في وجهي ، ولكني لم أعره انقباهما ، وصرت تهته عندئذ .. واستطعت أن الحق به ..

وسقطت داخل الطريق في نفس الوقت الذي كانت أضواء السيارة تكتسح المنحنى الأخير .. فأغلقت عيني وبصطت يدي ..

وصرخت الفرامل والعجلات لتقف .. وفتحت عيني وأخذت ثلاث خطوات مرتعشة نحو السيارة ، واستندت جانبا وأنا أتصارع مع أنفاسي ..

وخرج من السيارة ، من الجانب الآخر ، وفي ضوء السيارة الساطع بدا أطول كثيرا ، واستطعت أن أقول :

- 'كان يجب أن .. أراك !

فقال في صوت خفيض :

- قالوا لي أنك قد ذهبت . أيتها الحمقاء الصغيرة ، كدت أن أقتلك !

- كان علي أن أخبرك أنني كنت آسفة ، ياراؤول ! ولم يتكلم ..

- أنا لا أحاول أن أجد العذر لنفسي .. أنا أعرف

أنك لن تغفر لى لارتياحى فيك . . راؤل ، أريد فقط أن
تفهم قليلا . . لقد قالوا لى ، بوضوح تام ، أنك كنت
متآمرا مع الآخرين . . لقد قال برنارد ذلك لبييرث . .
أخبرها بأنك قمت باطلاق النار فى الغابة . . ولم أصدق
ذلك . . لم أستطع . . ولكن لم يكن هناك أى شيء يثبت
أنك لم تكن مشتركاً فى المؤامرة . . لا شيء ماعدا . .
الطريقة التى كنت أشعرها نحوك . .

وتوقفت محاولة أن أرى التعبير الذى على وجهه ،
ثم قلت :

— لقد مررت عبر الجحيم منذ مساء الثلاثاء .
كل شيء كان يتجه لاتهامك ، ولم أستطع أن أثق فى
أحاسيسى أكثر من ذلك . . ببساطة لم أستطع المجازفة
يا راؤل !

— كنت مستعدة للمجازفة . . ذات يوم . .

— من أجل نفسى ، نعم . . ولكن هذه المرة كان
فيليب . . لم أستطع أن أجازف بفيليب . . لم يكن هناك
شخص آخر ليهتم به . . كنت كل من لديه . . وغير
ذلك ، لم يكن مهما . .

— ما هو الذى لم يكن مهما . .

فقلت :

— انك كنت كل من لدى .

صمت آخر . . كان واقفا ساكنا جدا الآن ، ظلا وحيدا في ظلام مضاء بطريقة غريبة . . وفكرت فجأة أن هذه هي الطريقة التي سوف أتذكره فيها دائما : رجل يقف وحيدا ، مبتعدا عن كل الآخرين .

ولأول مرة ، بدأت أراه كما هو حقا ، لا كما يصوره خيالي الرومانتيكي . كان هذا هو راؤول ، الذي كان صبيا صغيرا وحيدا في منزل كان « ليس منزلا للأطفال » وكان شابا تعسا غير سعيد ، يقاتل بمرارة ضد أب قوى . . جامع ، ربما ، قاسى ، ربما ، ولكنه دائما وحيد . . فقلت بلطف :

— ماذا يمكن أن أقول عن أبيك ، سوى أنني آسفة ؟

فقال :

— هل تعتقدين حقا أنني كنت سأطلق النار عليه ؟

— لا ياراؤول !

برهة صمت ، ثم قال في صوت غريب جدا :

- اعتقد أنك تفهمين فعلا .

- اعتقد أنني أفهم يا راؤل ، وأريدك أن تعرف ذلك ، ثم ساذهب . أحبيبتك طوال الوقت ، بدون توقف ، وأحبك الآن .

والتفت في اتجاه القصر .

- أين تذهبين ؟

- شخص ما سيأخذنى الى فيلا أنا . طلب منى عمك هيبوليت أن أذهب هناك .

- اركبى السيارة ، سأأخذك الى هناك . .

وعندما ترددت ، قال :

- ادخلى . الى أين تعتقدين كنت ذاهبا ؟

- لا أعرف . . هل كنت ستذهب بعيدا ؟!

- كنت ذاهبا الى فيلا أنا لأبحث عنك .

ولم أتكلم ، ولم أتحرك . . كان قلبى يرقع بعنف عندما قال :

- لنذا . . !

وأصبح صوته مثلما كان دائما . . ودخلت ، ودخل
بجانبي . . كانت السيارة مظلمة من الداخل . وبدأ هو
ضخما ، وقريبا جدا . . كنت أرتعد . . ولم يتحرك
ليلمسنى . .

— لنذا ، هل تنوين ان تبقى في فيلا أنا لفترة مع
فيليب ؟

— لا أدري . لم أفكر في أمورى بعد . . اننى
مفرمة به جدا ، ولكن . . .

— سيكون وحيدا ، حتى مع هيبوليت . هل نأخذ
معنا في بلفين ؟

فقلت مبهورة لاهثة :

— راؤل ، راؤل ، لم أفكر . .

ورفعت يدي المرتعشتين الى وجهى .

— يا هذا يا حبيبتي ؟

فقلت وأنا داخل يدي :

— هل مازلت . . تريدنى ؟

— ونم يجب . . والتفت فجأة نحوى وشدنى اليه .

وما قلناه عندئذ أصبح من ذكرياتنا .. لقد تكلمنا لمدة
طويلة ..

وفيما بعد ، عندما أصبحنا قادرين على أن نضحك
ثانية ، قال :

- انك لم تجعليني أعترف لك ، يا حبيبتي لنذا .

- ماذا تقول ؟ تعترف بماذا ؟

- بأنى أحبك ، أحبك ، أحبك !

- أوه ، الى هذا الحد ؟!

- نعم .. الى هذا الحد !

فقلت :

وانا لك

وهبطت السيارة عندئذ بلطف وعبرت جسرا
فالى

اقرأ في هذه السلسلة



- ١ - أوليفر تويست :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : مختار السويفى
- ٢ - الآمال الكبرى :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : مختار السويفى
- ٣ - ثورة على السفينة بونتى :
تأليف : وليم بلاى
ترجمة : مختار السويفى
- ٤ - مغامرات شيرلوك هولمز :
تأليف : سير آرثر كونان دويل
ترجمة : محمد العزب موسى
- ٥ - المغامرات المرحية لروبن هود :
تأليف : هوارد بايل
ترجمة : نادية فريد

- ٦ - الغارز :
تأليف : ادجار الان بو
ترجمة : نادية فريد
- ٧ - عائلة من سويسرا :
تأليف : يوهان فايس
ترجمة : سناء صليحة
- ٨ - مغامرات توم سوير :
تأليف : هارك توين
ترجمة : مختار السويفى
- ٩ - مغامرات هكلبرى فين :
تأليف : هارك توين
ترجمة : مختار السويفى
- ١٠ - رحلة كون تيكى :
تأليف : ثور هايردال
ترجمة : محمد العزب موسى
- ١١ - حكايات من شكسبير (١) :
تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : الشريف خاطر

١٢ - المزيف :

تأليف : روبرت أونيل

ترجمة : صبرى الفضل

١٣ - المخطوف :

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة : صبرى الفضل

١٤ - الفرسان الثلاثة :

تأليف : الكسندر دوماس

ترجمة : صبرى الفضل

١٥ - الأرض الطيبة :

تأليف : بيرل بك

ترجمة : صبرى الفضل

١٦ - حول العالم فى ثمانين يوما :

تأليف : جول فيرن

ترجمة : صبرى الفضل

١٧ - رحلة الى مركز الأرض :

تأليف : جول فيرن

ترجمة : صبرى الفضل

١٨ - سجين زلدا :

تأليف : انتوني هوب

ترجمة : محمد العزب موسى

١٩ - أنا كارينينا :

تأليف : ليو تولستوى

ترجمة : محمد العزب موسى

٢٠ - جين اير :

تأليف : شارلوت برونتى

ترجمة : صبرى الفضل

٢١ - مرتفعات ورنج :

تأليف : اميلى برونتى

ترجمة : صبرى الفضل

٢٢ - رجال عظام ونساء عظيمات :

تأليف : ليزلى ليفيت

ترجمة : مختار السويفى

٢٣ - دافيد كويرفيلد :

تأليف : تشارلس ديكنز

ترجمة : مختار السويفى

٢٤ - حكاية مدينتين :

تأليف : تشارلس ديكنز

ترجمة : حسين البنهاوى

٢٥ - اوقات عصيبة :

تأليف : تشارلس ديكنز

ترجمة : د . على كامل شحاته

٢٦ - مذكرات بيكويك :

تأليف : تشارلس ديكنز

ترجمة : د . انور شتا

٢٧ - توم جونز :

تأليف : هنرى فيلدنج

ترجمة : نادية فريد

٢٨ - الزنقة السوداء :

تأليف : الكسندر دumas

ترجمة : صبرى الفضل

٢٩ - بعيدا عن الناس :

تأليف : توماس هاردى

ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٣٠ - العقل والعاطفة :

تأليف : جين أوستن

ترجمة : مبرى الفضل

٣١ - الكبرياء والهوى :

تأليف : جين أوستن

ترجمة : مبرى الفضل

٣٢ - حكايات من شكسبير (٢) :

تأليف : وليم شكسبير

ترجمة : الشريف خاطر

٣٣ - ذات الرداء الأبيض :

تأليف : ويلكى كولينز

ترجمة : نادية فريد

٣٤ - جزيرة الكنز :

تأليف : روبرت لويس ستيفسون

ترجمة : مختار السويفى

٣٥ - كنوز الملك سليمان :

تأليف : سير رايدر هاجارد

ترجمة : مختار السويفى

- ٣٦ - دكتور جيكل ومستر هايد
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون
ترجمة : مختار السويقي
- ٣٧ - قلعة الخطر
تأليف : ماري ستورات
ترجمة : صبرى الفضل
- ٣٨ - ابناء الغابة الجديدة
تأليف : كابتن ر. ن. ماريات
ترجمة : نادية فريد
- ٣٩ - ثلاثة رجال فى قارب
تأليف : جيروم ك. جيروم
ترجمة : د. على كامل شحاتة
- ٤٠ - جزيرة الكنز
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون
ترجمة : مختار السويقي
- ٤١ - اللؤلؤة
تأليف : جون شتاينبك
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٤٢ - شجرة الجاكاراندا
تأليف : هـ . ا . بيتس
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٤٣ - كيبس
تأليف : هـ . ج . ويلز
ترجمة : عبد الغنى داود

٤٤ - من الأرض الى القمر

تأليف : جولفيرن
ترجمة : صبرى الفضل
تأليف : جولفيرن

٤٥ - اول رجال على سطح القمر

تأليف : هـ . ج . ويلز
ترجمة : صبرى الفضل

٤٦ - آخر أيام بومبى

تأليف : لورد ليتون
ترجمة : صبرى الفضل

١٤٤٧
١٤٤٧

رقم الايداع ١٩٨٨/٨٢٣٥
الترقيم الدولي ٧ - ٢٠١٩ - ٠١ - ٩٧٧

١٤٤٧
١٤٤٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب